الموقف البريطاني من التوتر بين والي البصرة العثماني سليمان نظيف وشيخ المحمَّرة خزعل بن جابر..
دراسة وثائقية

أ.م.د. نادية ياسين عبد(*)

مقدمة

حظي الشيخ خزعل (١٨٦١-١٩٣٦) منذ تسنمهِ الحكم في إمارة المحمَّرة في حزيران ١٨٩٧ بسلطةٍ واسعة في إدارة شؤون الإمارة، إذ تمتعت المحمَّرة بشكلٍ من الاستقلال الذاتي منذ تأسيسها على يد والدهِ الشيخ جابر سنة ١٨٣٢[١]، مستفيدةً من وجودها في منطقة حدودية بين الدولتين العثمانية والقاجارية[٢]، فتذبذبت في ولائها بين الدولتين من دون أنْ تخضع فعلياً لأيٍّ منهما، ومع إنها عُدَّت ضمن إيران[٣]، بموجب معاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧[٤]، فإنَّ الحكومة المركزية هناك لم تمارس سلطة فعلية فيها، وهو ما أوضحته وثيقة بريطانية، بالقول: «إنَّ ضعف الحكومة المركزية، والأوضاع الفوضوية في البلاد عموماً، دفعها إلى أنْ تكون راضية بالسماح للشيخ بحكم أراضيه من دون إزعاج»[٥].

لم يكن الوضع السياسي في الدولة العثمانية مختلف كثيراً عنه في جارتها، كما أنَّ الخلافات الحدودية استمرت بين الجانبين وهو ما فسح المجال أمام شيوخ المحمَّرة لمد نفوذهم على ضفَّتي شط العرب، فكانت لشيخ المحمَّرة الكثير من العقارات والبساتين في مدينة البصرة والمناطق المُحيطة بها، حتَّى غدا الشيخ خزعل واحداً من أكبر ملَّاك الأراضي المزروعة في البصرة، إذ قاربت قيمتها حوالي نصف مليون جنيه إسترليني[٦]، كما كانت له علاقات طيبة مع كبار الملَّاك في البصرة، وارتبط بصلات مصاهرة مع العديد من أُسرها، وسعى إلى التحالف مع زعماء محليين في مقدمتهم طالب النقيب بكل الثقل السياسي والاجتماعي الذي امتلكه في البصرة، والشيخ مبارك الصباح في الكويت، الأكثر من ذلك أنه تمتع بسلطةٍ عشائرية بين العديد من العشائر المستقرة في الأراضي التابعة للدولة العثمانية على ضفاف شط العرب[٧]. كل ذلك منحه موقعاً مهيمناً على الملاحة فيه، وترتب عليه أيضاً احتكاك مستمر بالسلطات العثمانية في البصرة، أخذ في أحيان غير قليلة شكل التحدي لها، ومع كل النفوذ الذي تمتع بهِ في البصرة فإنه لم يتردد متى ما تطلَّبت مصلحته عن شن غاراتٍ مسلَّحة داخل الأراضي العثمانية والقيام بعمليات نهب وقرصنة وإحداث فوضى كبيرة بهدف

(*) جامعة بغداد / كلية الآداب.
nadiayasseen@coart.uobaghdad.edu.iq

الضغط على السلطة العثمانية عند اتخاذها أي خطوة تـضر بمصالحهِ، غالباً ما كانت تتوج بالتخلص من أي والٍ عثماني انتهج سياسة غير مرضي عنها، حتَّى غـدا ذلك «عادة راسخة» للشيـخ خزعل وحلفائه حسـب وصـف القنصـل البريطـاني في البـصرة، مضيفـاً: «مـن الملاحظ أنـه في كل مرة تحـدث فيها اضطرابـات في جوار البصرة [المقصود المركز] كان يسبقهـا دائـماً بعض الشجـار أو الخـلاف بين والي البـصرة وجيرانـه الأقوياء حول نقـاط تؤثر بشكلٍ وثيق عـلى مصالـح الأخيرين. وعندمـا تفشل كل المفاوضـات تتعـرض المناطق التركيـة للهجوم من العصابـات المسلَّحـة التـي تنهب وتقتـل وترتكب كل أنـواع التجاوزات، مع الإفـلات من العقاب، إلى أنْ يتـم تحقيـق هـدف الطـرف المتـضرر بتشويه سُمعـة الحاكـم غـير المرغـوب بـهِ ثـمَّ إبعـاده»[٨]. وتورد الوثائق العديد مـن النماذج لذلك النوع من التحركـات[٩]، حتَّى أنه كـان يحتفظ بمجموعة من قطَّـاع الطـرق في إمارتـه وينفق عليهـم ويقدم لهم المرتبات ويحميهم عند قيامهم بأعمال سرقة، أو على الأقل غـض النظر عنهـم، وكانوا جاهزيـن للقيام بـأي عمـل تخريبي لإثـارة الفـوضى والمشـاكل في البصرة متى ما طلب منهم الشيخ خزعل ذلك[١٠]. كل ذلـك قام بهِ بجـرأةٍ شديدة استمـد جانباً كبيراً منها من علاقته بالحكومة البريطانية ودعمها له.

الكلـمات المفتاحية: بريطانيـا، البصرة، المحمَّرة، الشيخ خزعل، سليمان نظيف.

علاقة الشيخ خزعل ببريطانيا

شكَّلت المحمَّرة منـذ مرحلة مبكرة محلاً لاهتمام بريطانيـا جزءاً من اهتمامهـا بمنطقة الخليج العربي، ووجـدت فيها مركـزاً مهماً للحفـاظ على مصالحها هنـاك وتأمينه مـن أي وجود أجنبي آخـر، وهو ما دفعهـا إلى فتـح وكالـة قنصليـة فيها سنـة ١٨٩٠، واختارت لها واحـداً من رجالها المميزين هو السيد ويليـام ماكـدوال (William McDouall)، الـذي كان يُجيد الفارسية وقليلاً من العربية، ولديه خـبرة امتـدت لحـوالي خمسة عـشر عامـاً في منطقة الخليـج أهلتـه ليكـون عارفـاً بتقاليد أهـل المنطقة وعاداتهـم[١١]، واستمر في عملـهِ بعد تحول الوكالة إلى قنصليـة سنـة ١٩٠٤ إثر اتسـاع وتنوع مصالح بريطانيا في المنطقة خلال عهد الشيخ خزعل[١٢].

تعـود علاقـة الشيخ خزعل ببريطانيـا إلى ما قبل استلامـه حكم المحمَّرة، وإلى سنـة ١٨٩٥ تحديداً، حينـما كان أخوه الشيخ مزعل بـن جابر (١٨٨١–١٨٩٧) يواجـه مشاكـلاً مـع عشائـر المحمَّـرة والبريطانيين أيضاً، وبدا أنَّ حكم المحمَّرة غير بعيد عن خزعل الذي بادر إلى الاتصال بالسيد ماكدوال مؤكـداً له بأنه إذا ما صـار شيخاً للمحمَّرة سينتهج سياسـة مساندة لبريطانيا ويُعمق علاقات الصداقة مـع حكومتهـا، إذ كان يـرى «أنَّ خلاصه السياسي يكمن في مساعـدة البريطانيين لا معارضتهم»[١٣]. ومـا أن استلم حكم الإمارة حتَّـى سارع للاتصال بنائـب القنصل البريطـاني مكرراً وعـوده السابقة، واستعـداده الكامـل لتنفيذها، والقيـام بكل ما من شأنهِ خدمـة المصالح البريطانيـة في منطقتهِ، مؤكداً عـلى رغبته في الحصول على دعم بريطانيا وحمايتها، و «أنـه سيظل يقدم خدماته على أمل أنه ربما يحصل عليها يوماً ما»[١٤].

مـن الواضـح أنَّ الشيخ خزعل ابتغـى بعروضه السخيـة التأثـير في الساسـة البريطانيـين وكسـب دعـم الحكومـة البريطانيـة في مواجهـة مشاكلـه في الداخـل والخـارج عـلى السـواء، كـما سعى من خلال استعـداده الكامـل لخدمة مصالـح بريطانيا إلى أنْ يكون كل تحـرك محتمل للحكومة البريطانية بعلمـه، غـير متعـارض مـع مصلحتـه، إنْ لم يكـن صابـا فيهـا. بالمقابل وجد موقفه صـدى جيداً عند ماكـدوال، وكان مخلصـاً بنقلـه إلى مسؤوليه الذين أرسلـوا له تعليماتهم لإبلاغ الشيـخ بضرورة توجه مبعوثـه إلى المفوضيـة البريطانية في طهـران بأسرع وقـت، وإنَّ «المفوضيـة ستبـذل كل مـا في وسعهـا لحمايـة مصالح الشيخ، ويجـب عليه عمل كل شيء ممكن لتعزيـز المصالح التجارية البريطانية الآن وفي المستقبل»[١٥].

لم تكـن تلـك التطـورات بعيـدةً عـن الحكومـة القاجاريـة التي وجـدت نفسها مضطـرة في نيسان ١٨٩٨ للاعـتراف بالشيـخ خزعـل حاكـماً عـلى المحمَّرة، وإعطائه الصلاحيات والألقاب التي تمتع أخـوه بها قبله[١٦]. وعلى الرغم من ذلك فإنَّ الدعم البريطـاني المقدم لم يكن كافيـاً للشيخ خزعل الذي تابـع محاولاته مع بريطانيـا للحصول على ضماناتٍ مكتوبـة لدعمه، والحفـاظ على حكمـه واستقلاله بإمارتـه، وهـو مـا رفضتـه بريطانيا في محاولـةٍ منها لعـدم استفـزاز الحكومـة القاجاريـة، مـع تأكيدها بأنها ترغب في أنْ تراه قوياً محافظاً على اتحاد العرب تحت سلطتـه، ولتحقيق ذلك والحفاظ عليه أكدت له أنَّ بإمكانه الاعتماد على مشورتها ودعمها، وعلى الشيخ بالمقابـل دعم مصالح بريطانيا التجارية[١٧]. إلَّا أنَّ الوضـع مـا لبـث أنْ تـأزم بعد سنـة ١٩٠٠ عندمـا حاولت الحكومة المركزيـة في إيران تقليص نفـوذ الشيـخ خزعل وتـولي الإشراف على الجمارك في إمارتـه، وهـو مـا دفـع الشيخ خزعـل إلى طلب مشـورة ودعم بريطانيا، موضحاً إنه إذا قبل تدخل مـن الحكومـة المركزية في شؤون الإمـارة فإنَّ ذلك ربـما عرضه لسخـط العشائر التابعة لـه لتخليه عن امتيـازاتٍ لطالمـا تمتعـوا بهـا، وهـو مـا يجعلـه أمام خيارين إمَّا مواجهة السلطة المركزية ومقاومتها، أو الانتقال إلى ممتلكاته في الدولة العثمانية[١٨]، ولم تكن بريطانيـا مرتاحةً لأي منهـما ورأت أنَّ كلاهما يؤثر سلبـاً على أمن المنطقـة ويُلحق الـضرر بمصالحها، فحاولت التوسط لحل الموضوع[١٩].

ازداد الوضـع حرجاً لساسـة بريطانيا في الخليج جـراء تزايد النفوذ الروسي في رأس الخليج، ورغبة روسيـا في فتـح وكالـة قنصلية في المحمَّـرة وإعطاء الحكومـة القاجاريـة موافقتهـا على ذلـك، وهو ما عـرَّض مصالـح بريطانيا لخطـر حقيقـي دفعها إلى إعـادة النظـر في تقديـم ضمانـات واضحـة للشيخ خزعـل خشيـة ميلـه إلى روسيـا، فكتـب الوزيـر البريطـاني المفوض في طهـران لحكومتـهِ في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩٠٢ موضحاً قناعته بـضرورة منح الشيخ خزعل «ثقـة حقيقية في قوتنا وعزمنـا» لمنـع وقوع المنطقـة والشيخ تحـت النفوذ الروسي[٢٠]، ونال هـذا الطرح دعم قوي من نائب الملـك في الهند الذي أكَّد في برقيـةٍ وجهها إلى وزير الخارجيـة البريطاني بعد ثلاثة أيـام فقط من البرقية سالفة الذكر «إنَّ ضعفنا في بلاد فارس ينبع إلى حدٍّ كبير من الفشل في دعم هؤلاء الرؤساء والمسؤولين الذيـن يميلـون إلى جانبنـا، إذا كـان هناك شخص يستحـق الحصول على دعمنـا فهو شيـخ المحمَّرة، وإذا كـان هنـاك جـزء من جنـوب فـارس تتطلَّب مصالـح بريطانيا حمايته بشكلٍ خـاص من المنافسة

الأجنبية أو المؤامرات فهو ثغر الكارون»[٢١].

أدى التغير في الموقف البريطاني نحو اتخاذ موقف واضح في مساندة الشيخ خزعل إلى تدخلها لحسم موضوع الجمارك لصالحهِ، كما خاضت معه مفاوضات بخصوص الضمانات التي أراد خزعل الحصول عليها[٢٢]، وفي السابع من كانون الأول ١٩٠٢ قدمت الحكومة البريطانية ضماناتٍ مكتوبة، قدمها وزيرها المفوض في طهران للشيخ خزعل، نصت على حماية بريطانيا للمحمَّرة ضد أي هجوم بحري من أي قوة أجنبية مهما كانت ذريعة ذلك الهجوم «طالما أنت باقياً مخلصاً للشاه وتتصرف وفقاً لنصيحتنا»[٢٣].

كانت تلك الضمانات مكسباً جيداً للشيخ خزعل، لكنها لم تكن كافية له أبداً واستمر مطالباً بالمزيد، وشكَّل اكتشاف النفط بكميات تجارية في جنوب مسجد سليمان جنوب إيران سنة ١٩٠٨، وزيادة أهمية المنطقة التابعة للشيخ خزعل بالنسبة لبريطانيا فرصةً مناسبة له لطلب المزيد من بريطانيا التي عقدت معه اتفاقية، وقَّع عليها علاوة على الشيخ خزعل ثمانية من شيوخ العشائر البارزين في المحمَّرة، لاستئجار آمن للمناطق التي تحتاجها الشركة لمنشآتها وأبنيتها، وسعت بريطانيا إلى استرضائه من خلال ضمانات قدمها له المقيم البريطاني في الخليج العربي برسي كوكس (P. Z. Cox) نيابةً عن حكومته في الأول من كانون الأول ١٩٠٨، نصت على تأكيده لما ورد في ضمانات ١٩٠٢ وامتدادها لتشمل ورثته وخلفائه، وبأنَّ الحكومة البريطانية ملتزمة بالحفاظ على "الوضع الراهن"، بما في ذلك "استمرار حالة الحكم الذاتي التي تتمتع بها سعادتكم"، ومواجهة أي اعتداء خارجي ممكن أنْ يتعرض له[٢٤].

كان هناك أكثر من سبب حدا بالشيخ خزعل إلى السعي للحصول على المزيد من الضمانات من الحكومة البريطانية، فعلاوة على سعيه للحفاظ على حكمه وتعزيز استقلاليته، كانت لديه مخاوف كثيرة من الحكومة المركزية في إيران وما يمكن أنْ تقوم بهِ ضد مصالحه، كما أنه كان قلقاً من إمكانية قيام العثمانيين بالهجوم عليه والسيطرة على ممتلكاته وعموم المحمَّرة، وهو احتمال زاد من وطأته أنَّ الدولة العثمانية لم تقبل تماماً بفقدان المحمَّرة وظلت تسعى لاسترجاعها[٢٥]، وهو ما جعل الشيخ خزعل حسب تقرير عسكري بريطاني «ينظر بقلق لأي إجراء يهدف لتعزيز سيطرة تركيا على بلاد النهرين... ولهذا السبب فمن المرجَّح أنَّ الشيخ سيلقي بنفسه أكثر فأكثر بين أيدي الحكومة البريطانية»[٢٦]، ووصف التقرير نفسه علاقة الشيخ خزعل ببريطانيا خلال سنة ١٩١٠، وهي السنة الذي شَهِدت توتر العلاقات بينه وبين والي البصرة العثماني بأنها «ذات طبيعة ودية للغاية. مصالحه في الأساس هي مصالحنا، وهو يُدرك تماماً القيمة الممكنة لمساعدتنا وحمايتنا في حال حدوث هجوم عليه من قبل الأتراك، أو محاولة من جانب الحكومة الفارسية للإطاحة بهِ... ولم يعارض أبداً أي مخطَّط مدروس لتوسيع المصالح المادية لبريطانيا العظمى في أراضيه»[٢٧].

بداية التوتر بين والي البصرة سليمان نظيف والشيخ خزعل وأسبابه

جرى تعيين سليمان نظيف (١٨٦٩-١٩٢٧) والياً على البصرة في التاسع عشر من أيلول سنة ١٩٠٩، وكان ثالث مَنْ تولَّى المنصب في البصرة عقب ثورة جمعية الاتحاد والترقي وإعلان الدستور سنة ١٩٠٨، وعُرف بأنه واحد من أكثر الاتحاديين حماساً لأفكار الجمعية وأهدافها. نشأ في أُسرةٍ عُرفت بإسهاماتها في الحياة الإدارية والثقافية في الدولة العثمانية، ووفرت له تعليماً جيداً، فتعلَّم اللغات العربية والفارسية والفرنسية، مستفيداً ممَّا وفرته أسرته من فرص بدأ الكتابة في الصحافة بسنٍ مبكرة وأثبت كفاءته فيها إلى جانب عمله الإداري في أكثر من مكان، لكنه ما لبث أنْ قرر ترك ذلك كله والالتحاق بجمعية الاتحاد والترقي في باريس سنة ١٨٩٧ والمشاركة الفاعلة في صحفها هناك ضد نظام الحكم في الدولة العثمانية[٢٨]. استمر بنشاطه الصحفي بعد ثورة ١٩٠٨ واستقراره في إسطنبول متخذاً موقف الناقد العنيف لسياسة الحكومة والموجه لها، وهو ما دفعه إلى الاعتقاد أنَّ تعيينه في البصرة جاء لإبعاده عن إسطنبول[٢٩]، ومع أنه تصور قد لا يخلو من شيء من الصحة فيبدو أنَّ أثره كان هامشياً، وأنَّ اختياره جاء لرغبة السلطة في الاعتماد على شخصية قوية تمثل الحكومة وتسعى باقتدار وقناعة إلى تنفيذ سياستها في إعادة فرض السيطرة على كل ولاياتها ضمن رؤية مركزية، وهو ما كان وراء تعيينه والياً في أكثر من ولاية عثمانية، لاسيَّما مع الخبرة الإدارية التي امتلكها ومعرفته باللغة العربية، فكان الوحيد في عهد الاتحاديين الذي صار والياً في ولايات العراق الثلاث، البصرة والموصل ١٩١٣ وبغداد ١٩١٤، حتَّى وإنْ كان لمدة قصيرة[٣٠]، وله كتاب بعنوان: «فراق عراق» كتبه حسرةً على انسحاب القوات العثمانية من العراق سنة ١٩١٨[٣١].

كان وصول سليمان نظيف إلى البصرة بعد ما واجهه محرم بك، أول والي للبصرة بعد ثورة ١٩٠٨، من مشاكل في فرض سلطة الدولة المركزية، تسبَّب الشيخ خزعل مع حلفائه وأنصاره بإثارتها بالأساليب المعهودة من غاراتٍ سريعة وعمليات سرقة، وإحداث فوضى ممَّا أحرج الحكومة التي عمَدت إلى إبعاد الوالي عن منصبه أوائل سنة ١٩٠٩ بعد أشهر معدودة من تعيينه أواخر سنة ١٩٠٨[٣٢]، واصل بعده متابعة شؤون الولاية عارف بك المارديني لحين تعيين سليمان نظيف الذي وصل البصرة في تشرين الأول ١٩٠٩ مزوداً بصلاحياتٍ واسعة للقيام بالكثير من التغييرات والإصلاحات في البصرة وفرض سيطرة الدولة، ولتعزيز موقفه أصدرت الحكومة العثمانية الأوامر بنقل الباخرة الحربية مرمريس (Marmaris) التي كانت موجودة على سواحل بيروت في البحر المتوسط إلى الخليج على سواحل البصرة[٣٣]، وهو ما حتَّم بالضرورة اصطدامه مع معظم الشخصيات المتنفذة هناك وفي مقدمتهم الشيخ خزعل.

حال وصول سليمان نظيف إلى البصرة قام بالكثير من الإجراءات، لاسيَّما في الجانبين الإداري والعِمراني، بطريقةٍ أراد منها إشعار الجميع بأنهم أمام مرحلة مختلفة، وعمل على إنشاء علاقات طيبة مع الشخصيات البارزة هناك[٣٤]، ومن بينها الشيخ خزعل الذي تكررت لقاءاته بالوالي في قصر الأول بالفيلية على مسافة كيلو متر واحد عن المحمَّرة وبدار عبد الوهاب القرطاس عضو

مجلس إدارة البصرة[٣٥]، روت الوثائق البريطانية تفاصيل ما دار بإحدى تلك اللقاءات في شباط ١٩١٠، وذكرت حجم الحضور الواسع والأجواء الاحتفالية، والكلمة التي ألقاها صاحب الدار القرطاس خلال اللقاء أشاد بها بوالي البصرة وبالشيخ خزعل الذي وصفه: «على الرغم من كونه فارسي الجنسية فإنه يتصرف مثل العثماني في أفعاله ويُساهم بجهوده وأمواله في إرساء السلام والنظام في وطننا الغالي، وتحديداً في زمن الوالي الحالي»[٣٦]، في إشارةٍ إلى التنسيق الذي جرى بين سليمان نظيف والشيخ خزعل لضبط الوضع الأمني وتسليم أي خارج عن القانون لجأ إلى المحمَّرة، وعدم السماح لأي عمليات تخل بأمن البصرة مصدرها من هناك[٣٧].

غير أنَّ ذلك الوئام لم يكن سوى مرحلة مؤقتة، فسرعان ما بدأ التوتر بين والي البصرة وشيخ المحمَّرة، وكان ذلك على خلفية مجموعة حوادث تجمعت في أواخر آذار وبداية نيسان ١٩١٠، حسب ما رواها القنصل البريطاني في البصرة السيد كرو (F. E. Crow) في رسالةٍ طويلة وجهها إلى السفير البريطاني في إسطنبول السيد جيرارد لوثر (G. Lowther)، كان من بينها حادثة سرقة لمنزل في منطقة مناوي باشا على بعد عدة أميال عن القنصلية البريطانية وفرار الجناة إلى المحمَّرة، حيث أنكر خزعل وجودهم. واغتيال قاسم چلميران مالك جريدة "إظهار الحق"[٣٨]، في الثاني من نيسان ١٩١٠ وهروب الجناة إلى المحمَّرة أيضاً، وعند مطالبة السلطات العثمانية في البصرة بهم مع مجموعةٍ أخرى من الأسماء، نفى الشيخ خزعل وجودهم في المحمَّرة[٣٩]. لكن الحادث الذي فجر الوضع بين الجانبين كان إثر محاولة أحد ملَّاك الأرض في البصرة إخراج الفلَّاحين من أرضه ورفضهم ذلك، لينشب نزاع ساند الفلَّاحين فيه شيخهم، وهو محمد الكنعان، وبعد تدخل السلطات العثمانية في النزاع لصالح المالك عمَد محمد الكنعان، الذي كانت تربطه صلة مصاهرة مع الشيخ خزعل، للهروب إلى المحمَّرة والاحتماء بهِ[٤٠].

طالب الوالي تسليم الكنعان إلى السلطات العثمانية في البصرة، مع عددٍ آخر من المطلوبين[٤١]، ألا إنَّ مثل تلك الخطوة لم تكن من السهولة بمكان للشيخ خزعل، فمحمد الكنعان لم يكن صهره فحسب وإنما شيخاً لواحدة من أكبر العشائر التابعة للشيخ خزعل، وعضو في المجلس القبلي في الفيلية مقر حكم الشيخ، وواحد من الشيوخ الذين وقعوا على الاتفاقية مع شركة النفط الأنجلو – فارسية، وبالتالي فإنَّ تسليمه للسلطات العثمانية من شأنه أنْ يزعزع مكانة الشيخ بين العشائر التابعة له، علاوةً على ذلك فإنَّ الشيخ خزعل أكَّد أنَّ محمد الكنعان هو مواطن فارسي وليس عثمانياً، وبالتالي لا ينطبق عليه موضوع تسليم المتهمين[٤٢]، وهو موقف تبنته بريطانيا وسعت لإيصاله إلى سليمان نظيف[٤٣]، الذي رفض مثل هذا الطرح وأصر على أنَّ محمد الكنعان هو أحد رعايا الدولة العثمانية، ووجه أوامره لأغا الشرطة مع قوةٍ من خمسة عشر شخص للتوجه إلى كوت الزين حيث يُقيم الكنعان لاعتقاله، غير أنها رجعت خالية الوفاض بعد أنْ هدَّد محمد الكنعان بأنه إذا ما اعُتقل فسيتم قتل مالك الأرض بنفس الطريقة التي قُتل بها قاسم چلميران، وهو ما أثار غضب الوالي[٤٤].

حاول الشيخ خزعل تدارك الموقف وتوجه بباخرتهِ في الثامن عشر من نيسان، مصطحباً محمد

الكنعـان بضيافته إلى البـصرة للقاء الوالي ومناقشته ومحاولـة إرضائـه، إلَّا أنَّ الـوالي رفـض أي لقاء أو تواصـل إلَّا بعـد تسليـم المطلوبـين وفي مقدمتهـم محمـد الكنعـان، فما كـان من الشيـخ خزعل سوى المغادرة مثلما أتى[٤٥]. ومـن الواضح أنَّ الوالي كان مصمـماً عـلى التصعيـد، ففـي حديثٍ له مـع كرو، الـذي اكتفـى بالسـماع دون أي رد، صرَّح سليـمان نظيـف أنه لا يثـق بالشيخ خزعل وهـو غير مرتاح لـكل النفوذ الذي يتمتع بهِ بسبب المساحة الواسعة لـلأرض التي في حوزته والعشائـر التي تأتمر بأمره في الجانـب العثـماني، وأرجـع كل مشـاكل المناطق الحدوديـة إلى «نفـوذه الشريـر»، وأكـد عـدم نيتـه التراجع وبأنَّ «الحكومة لديها الآن الوسائل المتاحة لإظهار قوتها»، معربـاً عن عزمه في اتخاذ إجراءات قوية بما في ذلك توجيه الباخرة الحربية مرمريس إلى كوت الزيـن ومعاقبة الكنعان وأتباعـه[٤٦]، ويبدو أنَّ الـوالي كان يحاول جس نبـض الموقف البريطاني في حـال اتخذ أي إجراء ضد الشيـخ خزعل، وكان عـدم إبداء كرو لأي رد فعل معارض دافعاً إضافياً للوالي للمضي قدماً في إجراءاته.

بدأ الوالي بالفعل بخطـواتٍ قوية واقعاً وأسلوباً لتحديـد نفـوذ الشيخ خزعل، بعـد أنْ أخذ موافقة حكومتـه، فعـزل كل مَن اشتبـه بأنه مرتبـط بصلةٍ مـا بالشيـخ خزعـل، كـما وجَّـه أوامـره، في الرابع والعشريـن مـن نيسـان ١٩١٠، لـكل مسـؤولي المناطـق التابعة لولاية البـصرة بعدم السماح للشيخ أو أي مـن وكلائـه والتابعـين لـه بـشراء أرض في مناطقهـم، وعـزل أي مختـار متأثـر بنفـوذ الشيـخ خزعـل أو تابـع لـه، وجـاء في أمـر الـوالي سليمان نظيـف: «من الـضروري للغايـة... ألَّا تمارس أي قوة أجنبيـة نفوذها في السيـادة العثمانية، وألَّا يُعيق تطبيـق القوانين والعدالـة العثمانيـة أو يؤخرها أي تأثـير أو مصالح (أجنبية). إنَّ أهم واجب يقع على عاتـق ضباط الحكومة هو كـسر وتدمير النفوذ غير المـشروع في الأراضي التركيـة لمثـل هـذا الشخص الـذي استفاد مـن الإهمال والارتجـال في الأوقات الماضيـة... عليكـم إبعـاد كل المخاتـير الذيـن يعتمدون على الشيخ خزعل واستبدالهم بأشخاص صادقـين ووطنيين، وعدم السماح له بأي وسيلة أو إمكانية لممارسة نفوذه في مناطقكم»[٤٧].

جـاءت الخطـوة الأقـوى والأبرز في إجـراءات سليـمان نظيـف في الساعـة الواحـدة والنصف من ظهـيرة الخامـس والعشريـن مـن نيسـان ١٩١٠ عندمـا وجَّه قـوة تتقدمها مرمريـس، هاجمت قرية كـوت الزين مقـر إقامة محمد الكنعـان، والخاضعة لشيـخ المحمَّـرة وإنْ كانـت جـزءاً مـن الدولـة العثمانيـة، ومـع أنَّ المستهـدف لم يكن موجـوداً في المكـان ساعـة الهجـوم، فقـد وجهت القـوة نيرانها عـلى القرية وألحقت بها أضراراً متعمدة بالكثير من المنازل[٤٨]، بما في ذلـك منزل والدة الشيخ خزعل، مـع إحـراق العديـد من أشجـار النخيـل، من غير أنْ تكـون هناك خسائر بشريـة[٤٩]، وفي اليوم التالي وجَّه سليمان نظيف رسالتين إلى القنصل الإيراني في البصرة، تضمَّنـت الأولى شكوته من شيخ المحمَّرة لحمايتـه «الكثير من المجرمـين والسماح لهم بمهاجمة البـصرة وما حولهـا، وهذا قـوض سـلام الولاية» وألحـق الـضرر بالعلاقـة بـين الدولتـين العثمانيـة والقاجارية، وأنَّ التواصل مهم بين الجانبين لوضع حـدٍّ للموضـوع، مع تأكيـده أنَّ الحكومـة العثمانية لن تـتردد في استخـدام القوة لحفظ أمنهـا[٥٠]. وفي الرسالـة الثانية طالب سليـمان نظيف بتسليم محمد الكنعـان للسلطـات العثمانيـة، مؤكداً عـلى «أنه إذا

لم يتم استسلامه فسيكون من الضروري تمديد الملاحقة حتَّى إلى المحمَّرة»[٥١]. كما أرسل قائمة إلى الشيخ خزعل ضمَّت خمسةً وعشرين اسماً، تقدمهم محمد الكنعان، مطالباً بتسليمهم إلى السلطات العثمانية[٥٢].

يبدو أنَّ سليمان نظيف سعى من خلال رسائله إلى القنصل الإيراني في البصرة، حصر الموضوع بين الدولتين العثمانية والقاجارية، والسعي لإبعاد الحكومة البريطانية عن التدخل، غير أنَّ الأخيرة بكل مصالحها في المنطقة لم يكن ممكناً إلَّا أنْ تكون حاضرة منذ البداية، وقررت أن يكون لها موقف من كل التوتر الذي شَهِدته علاقة الشيخ خزعل بوالي البصرة ومواجهة سياسة سليمان نظيف مع شيخ المحمَّرة.

الموقف البريطاني من تحركات سليمان نظيف

كان آرنولد ويلسون (A. T. Wilson) (١٨٨٤-١٩٤٠)، الذي صار قنصلاً للمحمَّرة سنة ١٩١٠، عقب نقل ماكدوال إلى كرمنشاه[٥٣]، أول مَنْ تحرك بشكلٍ واضح لمواجهة التسارع في توتر العلاقات بين الشيخ خزعل وسليمان نظيف، وحاول حتَّى قبل توجيه الباخرة الحربية مرمريس إلى قرية كوت الزين، دفع كرو لإقناع نظيف بأنَّ محمد الكنعان وبعض المطلوبين هم رعايا فرس ولهم من المكانة ما لا يمكن معها تسليمهم إلى السلطات العثمانية[٥٤]، وحال ما علم بنبأ ضرب القرية توجه مسرعاً إلى ميرزا حمزة وكيل الشيخ خزعل الذي كان يُدير الأمور في المحمَّرة نيابةً عن الشيخ، لتواجد الأخير ساعة الهجوم في مدينة الأحواز، وطلب منه التزام الهدوء، وعدم التصرف إلَّا بموجب توجيهه، والابتعاد عن الرد بأي شكل من الأشكال حتَّى لا يدفع الوالي إلى القيام بأي عمل انتقامي[٥٥]، كما كتب للشيخ خزعل وطلب منه البقاء حيث هو وتجنب العودة السريعة إلى المحمَّرة حتَّى لا يظن العثمانيون بأنه خائف من تحركاتهم[٥٦]، لاسيَّما وأنَّ ويلسون كان على قناعةٍ بأنَّ «الأتراك يشبهون الفرس وغيرهم من الشرقيين في أنهم يتحولون إلى خطيرين وجريئين فقط عندما يرون أنَّ العدو خائف»[٥٧]. وفي الوقت نفسه توجه إلى كوت الزين لمعرفة مقدار الضرر، وأحاط كوكس وكرو علماً بكل ما توصل إليه من معلومات، معبراً عن قناعته بأنَّ عمل الوالي كان «مستبداً وغير مبرَّر»[٥٨]، وحاول إضعاف الأساس القانوني لكل شكاوى وإجراءات سليمان نظيف، مشدداً على أنه لا يوجد أي دليل على أنَّ الجرائم التي حدثت في البصرة مصدرها المحمَّرة أو أنَّ مَن ارتكبها فرَّ إليها، ونبَّه إلى أنَّ الوالي استند في المطالبة بمحمد الكنعان إلى أنه عثماني، ورفض مناقشة الموضوع مع الشيخ خزعل مع أنه لا يوجد اتهام واضح أو محدَّد بحقه، حسب قناعة ويلسون الذي استنكر أنْ يكون محمد الكنعان من الحماقة إلى درجة التهديد بالقتل أمام قائد شرطة البصرة والقوة المُصاحبة له، كما أكد أنَّ المنطقة كانت هادئة منذ تسلم سليمان نظيف ولاية البصرة، وأعاد الفضل في ذلك إلى تعاون الشيخ خزعل، محملاً نظيف مسؤولية الإخلال بأمن المنطقة[٥٩]. كما عبَّر ويلسون عن قلقهِ من الشائعات المنتشرة في المحمَّرة عن وجود تنسيق بين الحكومة الدستورية في طهران[٦٠] ونظيرتها في إسطنبول لتقليص نفوذ الشيخ خزعل[٦١]. ونصح بتوجه وكيل الشيخ بأسرع وقت إلى البصرة للقاء الوالي وحل الموضوع للحيلولة دون تصعيد أعلى للتوتر[٦٢]، وزاد حماسه

لذلك مغادرة الوالي سليمان نظيف نهاية شهر نيسان متوجهاً لبغداد في زيارة لمدة شهر واحد، وتولي إدارة أمور الولاية محله متصرف الإحساء سعد بك، فكتب ويلسون إلى برسي كوكس مؤكداً «إنَّ مغادرة الوالي إلى بغداد أمر محظوظ للغاية وسيقلل من احتمالية حدوث أي مشاكل أخرى في المستقبل القريب»[٦٣].

بالمقابل عرض قنصل البصرة البريطاني السيد كرو وجهة نظر والي البصرة سليمان نظيف ونقل تأكيده بأنه «طُلب من الشيخ في السنوات الماضية مراراً وتكراراً، منع أتباعه من الإخلال بسلام الولاية، ولم يفعل ذلك، ولأنه حمى هؤلاء الأشخاص ورفض تسليمهم... فلم يبقَ أمامه سوى القيام بإجراءاته الخاصة»[٦٤]، ولم يستبعد كرو قيام سليمان نظيف بتحركاتٍ أقوى إذا ما استفزه الشيخ خزعل بعملٍ ما، بعد أنْ لاحظ بالفعل هدم جزء من منزلٍ جديد أقامه الشيخ خزعل على خور العشار بالبصرة[٦٥]، وأرجح أنْ يكون الهدف التالي للعثمانيين هو الفيلية، لاسيَّما وأنَّ نظيف وصف قصر خزعل هناك أمام كرو بأنه «يلدز[٦٦] فارسية»، وأوضح كرو بأنَّ ذلك عكس دقة المعلومات التي أُحيط بها سليمان نظيف من الحكومة المركزية في إسطنبول، ومعرفته الدقيقة بترسيم الحدود وفقاً لمعاهدة ارضروم الثانية[٦٧]. كما ذكر أنَّ المسؤولين العثمانيين شعروا «بسعادة طفولية تجاه قضية زين»، لذلك فحل الوضع بحاجة للتريث بعض الوقت حتَّى تهدأ الأمور[٦٨]. مع ذلك فإنه من خلال العديد من رسائله حمل خزعل مسؤولية المشاكل الأمنية في البصرة، وكتب تفاصيل عن «السجل التراكمي ضد المحمَّرة» قبل إعلان الدستور، وعلى وجهٍ خاص خلال سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٧، وبعد إعلان الدستور قبل مجيء نظيف إلى البصرة، وجهوده للفت انتباه الحكومة البريطانية لكل المشاكل في البصرة التي كان للشيخ خزعل يد فيها بشكلٍ أو بآخر[٦٩]، وعلَّق كرو «يبدو أنَّ يوم الحساب قد أتى»[٧٠]، ومع أنه أشار إلى أنَّ ما قام بهِ نظيف ربما بدا عملاً تعسفياً، فقد كرر بإصرار ما طالب بهِ السفارة البريطانية في إسطنبول مراراً حتَّى قبل مجيء سليمان نظيف[٧١]، بتقديم كل الدعم الممكن لمساندة والي البصرة خدمةً لمصلحة المنطقة والمصالح البريطانية فيها[٧٢].

أثارت تحركات سليمان نظيف وكل الرسائل التي وجهها قنصلي المحمَّرة والبصرة، قلق الأوساط السياسية البريطانية، وساند طرح ويلسون كل من كوكس ومارلنك (Marling)، الوزير البريطاني المفوض في طهران، فوجَّه الأخير برقيةً مطولة إلى وزير خارجيته السيد إدوارد غري (Edward Grey)، أحاطه علماً بكل الأحداث، وثبت معارضته وكوكس لما دعا إليه كرو بدعم السلطة العثمانية في البصرة، و "بشدة، لأنها ستجعلنا نبدو وكأننا ندعم الأتراك ضد المحمَّرة"[٧٣]، كما أكد على أنَّ التطورات ممكن أنْ تُحيي نقاش الحدود بين الدولتين العثمانية والقاجارية في منطقة شط العرب عقب مرحلة هدوء طويلة، والأهم أنه يضع بريطانيا أمام الالتزام بضمانتها التي قدمتها للشيخ خزعل بحمايته من أي هجوم بحري أجنبي[٧٤]، وهو ما لم تكن بريطانيا راغبةً بهِ في تلك المرحلة لما قد يسببه لها من حرج أمام الدولة العثمانية في وقتٍ حاولت فيه أنْ تظهر نواياها الحسنة للنظام الجديد هناك[٧٥]، علاوة على ذلك فإنَّ الخلاف حدث في وقتٍ كان من المهم لبريطانيا أنْ تحافظ على استقرار الأمن في شط العرب وتُبعده عن أي مشاكل، إذ

كان مع اقتراب موعد تصدير الحبوب من البصرة والمحمَّرة وما يليها من تصدير التمور[٧٦]. كل ذلك دفع مارلنك إلى التوصية بالترويج لحل ودي محلي يتولى التهيئة له وصياغته قنصلي المحمَّرة والبصرة[٧٧].

خلال يومين أرسل غري موافقته على توصية مارلنك، فوجهه ولوثر بتوجيه قنصليها في المحمَّرة والبصرة للتحرك السريع لحل الموضوع محلياً بشكلٍ ودي، مع إبدائه الاستغراب لموقف كرو من تحركات سليمان نظيف[٧٨]. وبشكلٍ سريع، تنفيذاً للتعليمات، تحرك كرو في الرابع من أيار ١٩١٠ طالباً لقاء سعد بك الذي التقى بكرو صبيحة اليوم التالي، وتمَّ إيصال تفاصيل اللقاء إلى لوثر فغري باليوم نفسه، وجرى خلاله إبلاغ القائم بأعمال والي البصرة أسف حكومته على الإجراءات التي اتخذتها السلطات العثمانية، وقلقها من احتمال تعقد الوضع بشكلٍ خطير في منطقة شط العرب وامتداده شاملاً منطقة أوسع، كما أخبره عن رغبة حكومته بإحلال السلام في المنطقة، وأنه تلقَّى تعليمات للمساعدة في تحقيق ذلك، وانتقد كرو تصعيد الوالي السريع للأحداث ومبالغته في استخدام القوة من دون إعطاء أي فرصة بالتدخل لحل الموضوع، ولإيجاد تقبل لطرحه من جانب سعد بك أشار كرو أنه استند في تدخله إلى علاقات الصداقة القديمة بين الحكومتين العثمانية والبريطانية، واتخذ من ذلك مقدمة لتأكيد واضح لا لبس فيه بأنَّ الحكومة البريطانية صديقة للشيخ خزعل أيضاً، ولا تقبل بإضعاف نفوذه في المحمَّرة بأي شكلٍ من الأشكال، وأنها مهتمة باستمرار العلاقات جيدة بين والي البصرة وشيخ المحمَّرة حفاظاً على الصالح العام، وعلى المصالح البريطانية وتجارتها في المنطقة على وجه الخصوص، ولم يخلُ كلام كرو من التحذير من خطورة الوضع وما يمكن أنْ يترتب عليه[٧٩].

أبدى سعد بك تفهمه الكامل وارتياحه لفكرة الحل الودي، وأكد أنه سيبرق لسليمان نظيف لإعلامه بمقدار الاهتمام الذي توليه الحكومة البريطانية للتسوية، واستفسر عن مدى استعداد الحكومة البريطانية في استخدام نفوذها لإجبار الشيخ وأتباعه على الامتناع عن التدخل في الأراضي العثمانية، وهو ما وافق عليه كرو بشكل شخصي بعيداً عن أي التزام رسمي، بموجب تعليمات تلقاها من لوثر الذي عبَّر عن قناعته، في برقيةٍ وجهها لغري، بأنَّ ما قام بهِ نظيف، وحالات مشابهة أخرى كانت بتأثير «رغبة النظام الجديد في تأكيد التعارض الحاصل مع «الحقوق الوطنية» لتركيا، كما فعلوا ذلك إلى حد ما مع موقعنا المكتسب على رأس الخليج»[٨٠]، وكان لهذهِ الجملة أثرها في تبني غري طرح ويلسون بوصف عمل نظيف بالعدائي[٨١].

بناءً على اقتراح كرو توجه مع ويلسون إلى البصرة الحاج ريس، وكيل الشيخ في طهران المعروف بدبلوماسيتهِ العالية، للقاء سعد بك، مزوداً بكتاب مختوم من الشيخ خزعل فوَّض فيه الحاج ريس بالتفاوض والوصول إلى تسوية نيابةً عنه[٨٢].

عقب لقاء أولي مع سعد بك، التقى الحاج ريس بكرو في السادس من أيار ١٩١٠، وقال له إنه «إذا كان الوالي كتلة من النار فسأكون كتلة من الماء»[٨٣]، تعبيراً عن نيته في استيعاب الموقف وحله، وشكَّل ذلك الكلام مصدر راحة واطمئنان

لكرو، لاسيَّما وأنه أحس إنَّ «المسؤولين الأتراك في ظل النظام الجديد هم أنصاف ثملين بتأثير الحرية ومصابين بالدوار جراء وصولهم السلطة، مثل تلاميذ مدارس خرجوا لقضاء عطلة، قد يُسيئون استخدامها]السلطة[بصورةٍ محزنة. رجل متهور مثل نظيف بك يتطلب قدراً كبيراً من التماسك. لديه ميزاته، فهو لا يكذب ونظيف اليدين، لكنه ليس بالحاكم المتمرس كما أنَّ أساليبه تفتقر إلى الدبلوماسية"[٨٤]، وهو وصف دقيق من كرو انطبق على أغلب ساسة الدولة العثمانية في تلك المرحلة التي كان معظمهم خلالها يخطو خطواته الأولى في عالم السياسة.

بدأت لقاءات الحاج ريس بنائب الوالي، التي استمرت من السادس إلى الرابع عشر من أيار ١٩١٠، مع وصول أخبار عن وفاة واحدة من زوجات الشيخ خزعل، وهي أخت محمد الكنعان، كانت موجودة في منزل والدة الشيخ ساعة ضربه وتوفيت متأثرةً بإجهاضها الذي عُزي إلى الصدمة من إطلاق النار[٨٥]. ومع ذلك فقد غلب على اللقاءات الهدوء، فذكر سعد بك نيابةً عن سليمان نظيف، أنه لا يُضمر أي سوء للشيخ خزعل على المحمل الشخصي وأنَّ كل اللوم يقع على محمد الكنعان، وكل ما مطلوب من خزعل هو تسليم المجرمين بدل إخفائهم أو حمايتهم، وأكَّد سعد بك رغبته في المصالحة مع الشيخ خزعل بشكلٍ مباشر دون اللجوء إلى وساطة أي جهة. وأبدى الحاج ريس استعداد الشيخ الكامل لذلك مع الاستفسار عما تطلبه السلطات العثمانية بخصوص الأمور التي تسببت بالتوتر، وذكر الحاج ريس أنه بخصوص حادثة مناوي باشا فقد تمَّ إلقاء القبض على ثلاثة من الستة المطلوبين وجاري البحث عن البقية لتسليم الجميع إلى السلطات العثمانية، أمَّا حادثة قتل چلميران فهو أمر أحزن الشيخ مثلما آلم الوالي، لكن القاتل غير معروف وإذا ما ثبت أنه في المحمَّرة فلن يتردد الشيخ خزعل عن تسليمه، وبخصوص محمد الكنعان فقد اقتنع كِلا الطرفين بصعوبة تسليمه، وتمَّ اقتراح إبعاده عن أي أراضي عثمانية واستبداله بآخر في كوت الزين[٨٦]. وخلال سعي الحاج ريس حل كل ما اعترض سير المفاوضات، فإنه تمسك بتأكيد أنه كان من الأفضل اللقاء والاتفاق قبل ضرب كوت الزين وهو ما أيده عليه نائب الوالي، وكللت جهود الطرفين بالوصول إلى صيغة اتفاق أولي، وتقرر رجوع كل منهما لمرجعه، سعد إلى سليمان نظيف والحاج ريس لخزعل بن جابر، لأخذ الموافقة على ما توصلا إليه[٨٧].

يبدو أنَّ موقف الحاج ريس المسترضي لم يكن لشخصيته الدبلوماسية فقط، بل الأهم من ذلك ما لمسه في الموقف البريطاني، وفي لقاء خاص بين كرو والحاج ريس أثناء وجوده في البصرة، طلب الأخير من القنصل البريطاني الضغط على الوالي وإخبار نائبه بالضمانات التي سبق وأعطتها بريطانيا للشيخ، لدعم موقفه في مباحثاته مع السلطات العثمانية، غير أنَّ رد كرو جاء باتجاه معاكس، إذ أشار إلى أنَّ تعليماته محددة بالترويج لتسوية ودية وهو ما لا يمنحه مسوغاً لممارسة ضغوط فعلية على الوالي[٨٨]، مؤكداً عدم وجود فائدة تُرجى من ذلك في تلك المرحلة، وأنَّ ما قاله لسعد بك في الخامس من أيار عن المصالح البريطانية في المنطقة وتبعات الإضرار بها كان كافياً، وأنَّ العثمانيين لهم من الذكاء ما يكفي لفهم إنَّ الشيخ هو واحد من تلك المصالح، معلقاً: «إنَّ من المؤسف استخدام

مسمار كبير قد يشق اللوح الخشبي، عندما يكون آخر صغير كافياً للقيام بالعمل»[٨٩]، في إشارة إلى مقدار الضرر بمصالح بريطانيا الذي ممكن أنْ يترتب على إعلان الضمانات الممنوحة للشيخ، وهو ما كان واضحاً ومفهوماً للحاج ريس الذي استفسر من كرو، أيضاً، عن كيفية التعامل مع الرسالتين الرسميتين اللتين وجههما سليمان نظيف إلى القنصل الإيراني في البصرة، فكان رد كرو إهمال الموضوع وعدم الإجابة عليهما لما قد يقود إليه الرد من مراسلاتٍ حادة تُفسد التسوية برمتها، وهو ما تعهد الحاج ريس بترتيبه بحكم علاقته مع القنصل الإيراني[٩٠].

في الثامن من أيار ١٩١٠ كتب كرو إلى سعد مستفسراً منه عن النتيجة النهائية لما آلت إليه المفاوضات مع الحاج ريس[٩١]، واستلم الرد في نفس اليوم أبلغه سعد بك من خلاله، بشكر الوالي سليمان نظيف لاهتمامه وتأكيده أنَّ الحكومة العثمانية قادرة على حل الوضع وإمساك المجرمين، وبأنه تمَّ الاتفاق على النقاط الأساسية وبالإمكان عد الموضوع منتهياً[٩٢]، وهو ما شكَّل تحفظاً على أي تدخل من جانب بريطانيا في علاقة والي البصرة بشيخ المحمَّرة.

وافق والي البصرة سليمان نظيف بالفعل في التاسع من أيار للسنة نفسها، على ما تمَّ الاتفاق عليه بين سعد بك والحاج ريس[٩٣]. بالمقابل كان الشيخ خزعل منزعج جداً من عدم رده على ضربة كوت الزين وعلى تهديدات الوالي الصريحة، ووجد نفسه مكبلاً، فتم تحييد حليفه شيخ الكويت الذي تحسنت علاقته بالسلطات العثمانية واختار الانصراف لتنظيم شؤون إمارته الداخلية[٩٤]، كما كان الشيخ يواجه مشاكل كثيرة داخل إيران مع الحكومة المركزية في طهران ومع قبائل البختيارية القريبة منه جعل من الصعب عليه فتح جبهة أخرى منفرداً، وهو ما دفعه إلى السعي للحصول على دعم بريطاني لتعزيز وضعه إزاء العثمانيين وحفظ ماء وجهه أمام العشائر التابعة له، وفي هذا الصدد كتب آرنولد ويلسون للوزير البريطاني المفوض في طهران بأنَّ الشيخ «إذا لم يتصرف الآن فسيراه العرب مستاءً من الوالي دون اتخاذ أي إجراء ويفترضون أنه خائف وتمَّ تركه من قبلنا فيتخلون عنه»[٩٥].

وجدت رغبة الشيخ خزعل استجابةً بين ساسة بريطانيا، وإنْ كانت ليست بالقدر الذي تمناه، فبعد البرقية التي وجهها مارلنك إلى غري لإعلامه بوضع الشيخ ومخاوفه[٩٦]، أرسل الأخير برقيتين بتاريخ التاسع من أيار ١٩١٠، الأولى إلى لوثر وجهه فيها بإجراء مقابلة فورية مع وزير الخارجية العثماني لإبلاغه التماس الحكومة البريطانية بتوجيه أوامر سريعة إلى سليمان نظيف بمنعهِ من القيام بأي أعمال عنف أخرى ضد الشيخ، والتأكيد على أنَّ نيته في قصف فيلية أو اتخاذ إجراءات ضد المحمَّرة «إذا ما تم تنفيذها سيكون لها أخطر النتائج... لأنَّ حكومة جلالة الملك لها علاقات صداقة مع الشيخ منذ فترة طويلة، وهي ملزمة بدعمه إذا تعرض للهجوم من دولة أجنبية»[٩٧]. أمَّا البرقية الثانية فكانت لمارلنك، وجَّه فيها إعلام الشيخ خزعل بقيام الحكومة البريطانية بتقديم احتجاج شديد اللهجة لدى نظيرتها العثمانية، وإخباره بنيتها إرسال باخرة حربية تتولَّى حماية أراضي الشيخ، مع التأكيد عليه بعدم القيام بأي تصرف ممكن أنْ يستفز والي البصرة والعمل على حل الموضوع محلياً بروح ودية[٩٨]. ومع إخبار كل من لوثر ومارلنك لغري

بـأنَّ التوتر في طريقـه إلى الحل وقـرب التوصل إلى تسوية بين شيخ المحمَّرة ووالي البصرة[٩٩]، خاطب غـري قيـادة البحريـة البريطانية بانتفـاء الحاجة إلى إرسـال الباخـرة الحربيـة، والاكتفـاء بتخصيـص واحـدة قريبة من المنطقـة لاستخدامها إذا ما دعت الحاجة[١٠٠].

تمثلـت التسويـة الأولية التـي تمَّ التوصـل إليها برسالة أرسلها سعد بك مع الحاج ريس إلى الشيخ خزعـل أوضـح فيهـا «إنَّ الإجـراء الـذي اتخذتـه الحكومـة في كوت الزين كان عقابـاً لأولئك الذين استخفـوا بكرامـة الدولـة العثمانيـة الدستورية... ممـن استخـدم القـوة والعنـف ضدها ومَـن ارتبط أو اتصـل بهـم... واضطـرت حكومتنـا إلى اتخـاذ هـذا الإجـراء القانـوني لتعزيـز الأمـن والسـلام وترسيخهما في الأراضي العثمانية»[١٠١]، ومع إشارة سعـد بك إلى أنَّ إجراءات الحكومة العثمانية لم تكن ضد الشيخ خزعل ولم تمس مكانته، فإنه أكد تورط أتباعـه في عمليات القتل في البصرة منذ مدة ليست بالقصـيرة تحـت سمعـه ونظـره دون اتخـاذه إجراء لمنعهـم، أو إيقافهـم مثلـما سبـق ووعـد الحكومـة العثمانية، وحدد سعد بك في رسالته شروط سليمان نظيف الواجبة على الشيخ خزعل لتحقيق المصالحة والمتمثلـة بالتعهد بتسليم المتسببين بأحداث مناوي باشا للحكومـة العثمانية، وملاحقـة قتلة چلميران والقبـض عليهـم، ومعاقبـة محمد الكنعـان بإبعاده عن كل الأراضي العثمانيـة، وفرضت عليه في حال حدوث أي اعتـداءات لاحقة وهروب منفذيها إلى المناطـق التابعـة للشيـخ خزعل ومطالبـة الحكومة العثمانية بهـم، وجب على الشيخ تسليمهم دون أي تأخير، وفي حال عدم الالتزام بذلك فإنَّ للحكومة العثمانية الحـق في اتخاذ أي إجراء تـراه مناسباً[١٠٢]، واختتمـت الرسالـة بالتأكيـد عـلى «إذا قبلـت هذا وأعطيت كلمتك بأنك ستحـترم حقوقنا بالطريقة الموضحـة... فـلا يوجـد شيء بيننـا يسبـب النفور والكراهيـة... وإنَّ الحكومـة العثمانيـة ستحترمك وتكرمـك بالمقابل وستساعـدك في تحقيق مطالبك المشروعة»[١٠٣].

أثر التسوية على الموقف البريطاني

أثار مـشروع التسويـة الأولي ردود أفعال مختلفة مـن ساسـة بريطانيـا، وكـان أول المعترضـين عـلى مضمونه هو آرنولد ويلسون الذي لفت الانتباه إلى لغتـه القسرية التي حوت على تهديد واضح للشيخ خزعـل، وأنه صبَّ في العمـوم لصالح الأتراك ولم يُنصف الشيخ[١٠٤]. وكـان الاعتراض الأقوى من برسي كوكـس الذي حثَّ إلى العمـل على استبدال والي البـصرة، مشـيراً إلى أنَّ الرسالـة التـي وجهها سعـد بيـك إلى الشيخ خزعل ألقـت اللوم كله على خزعـل وحملتـه مسؤولية الحفـاظ عـلى العلاقات الوديـة مـع والي البصرة، ولم تقدم لـه في المقابل أي أسف أو تعويض عن قصف منزل والدة الشيخ أو وفاة زوجتـه، أو الأضرار التي لحقـت بالممتلكات المقـدرة بستمائـة لـيرة، وهـو مـا وضـع المعوقـات أمـام نشـوء علاقـات شخصية مرضية بـين الشيخ والـوالي، وأنَّ حل الوضع بتلـك الطريقة «سيشعر الشيـخ أنه عـلى الرغم من إذعانـه لتوجيهنا بالتزام السلـم فإنـه لم يربح شيئـاً منـا»[١٠٥]، و «بأنه جرى التخـلي عنه»[١٠٦]. وأكد الوزيـر البريطاني المفوض في طهـران اتفاقـه التـام مع كوكـس، موضحـاً أنَّ «تأثيرنـا على الشيـخ سوف يتعرض للـضرر إذا ما تركت الأمور على وضعها الحالي، وأنَّ مجرد التعبير عن الأسف لن يكـون كافياً في ضوء المظالم الكبيرة التي تعرض لها الشيخ»[١٠٧].

بالمقابل فإنَّ لوثر حال معرفته بخبر التسوية أعرب عن أمله بقبول الشيخ خزعل لها[١٠٨]، وهو ما بدا طبيعياً في ظل الموقف الذي اتخذه كرو من مشروع التسوية، إذ علَّق عليه بـ: «إنه في رأيي ملائم للمناسبة، ومصاغ بعباراتٍ منسجمة مع كرامة الحكومة التركية، ولا يحوي أي استخفاف أو إهانة للشيخ»[١٠٩]، مشدداً في برقية أرسلها للوثر حُولت مباشرة إلى غري وأُرسلت نسخة منها لمارلنك في طهران، على تحمل الشيخ خزعل المسؤولية الأكبر في المشاكل التي شهدتها البصرة، وبأنه «على مدى السبع سنوات الماضية كان بمثابة الشوكة في الجسد، وأنَّ الوالي الحالي هو أول رجل يضايقه، إذا تخلصتم من الوالي فإنكم ستحرمون (المنطقة)... من رجل قوي وحاكم جيد وتعرضون أمن النهر للخطر وستلعبون لعبة الشيخ»[١١٠]، وبحماس أكبر أضاف في برقية أخرى أرسلها في اليوم نفسه بأنَّ «العمل التركي قد نقى الهواء ولا ينبغي فعل أي شيء لإضعاف يد الوالي، أخيراً تمَّ ضرب رأس المسمار الصحيح»[١١١]، موضحاً أنَّ نائب الوالي قد أعرب عن أسفهِ الشخصي لوفاة زوجة الشيخ والضرر الذي لحق بممتلكاته، وأنَّ مبعوث الشيخ هو مَنْ رفض إدراج أي إشارة رسمية بهذا الخصوص[١١٢].

رفض كوكس كل ما عرضه كرو، واستنكر كيف يمكن أنْ يخدم بقاء الوالي أمن المنطقة ناسباً إليه مسؤولية كل التوتر الحاصل مع المحمَّرة، وأكد على حيوية المصالح البريطانية في الخليج، خصوصاً في رأس الخليج[١١٣]، وبغائية مكشوفة أوضح رأيه بأهمية استخدام النفوذ البريطاني لإبعاد سليمان نظيف عن ولاية البصرة، وضرورة اتخاذ موقف واضح وصارم منه بغض النظر عن مدى صحة اتهاماته للشيخ خزعل من عدمها[١١٤]، وأنَّ المهم للحكومة البريطانية هو المحافظة على مصالحها وتعزيز نفوذها في المحمَّرة ورأس الخليج، قائلاً: «حسب تقديري فإنه من غير المتوافق مع تلك المصالح أن يُرى أنَّ بإمكان الوالي أنْ يفلت من العقاب بعد أن ارتكب عملاً عدائياً غير مبرر، وأنْ يبدو أنَّ عمله يحظى بدعم ممثلنا»[١١٥]، مشدداً على أنَّ عدم إجراء التعديلات الملائمة من الوالي لمضمون التسوية من شأنه إلحاق الضرر بالنفوذ البريطاني وهيبة الشيخ خزعل بطريقةٍ لا يمكن إصلاحها[١١٦].

حاول كوكس تحليل سبب اختلاف كرو في رؤيته للخلاف بين نظيف وخزعل عنه وويلسون، بأنَّ كرو موجود في «ميناء تركي، يعيش في أجواء تركية، ويسمع فقط التقارير التركية والجانب التركي من المسألة»[١١٧]، وضمن المعنى نفسه أضاف ويلسون بأنَّ «مترجم السيد كرو تركي ومصادر معلوماته من الأتراك»[١١٨]، ومع إنَّ الطرح بتركيزه على كلمة تركي فيه محاولة لجعل الخلاف يبدو بأنه تركي عربي، فإنه لا يخلو من قدرٍ من الصحة، مع ضرورة إضافة أنَّ كرو كان أكثر تماساً من كوكس وويلسون بواقع البصرة والاضطرابات الأمنية التي شهدتها والمحرض عليها والساند لها، والآثار التي ترتبت عليها، كما كان أكثر احتكاكاً بمحاولات السلطات العثمانية لضبط الأمن وفرض مركزية الحكم. وعلى أي حال فإنَّ الاختلاف الكبير في وجهات النظر حول التوتر بين والي البصرة وشيخ المحمَّرة حد التعارض، بين كرو من جهة وكوكس وويلسون من جهةٍ أخرى، دفع وزير الخارجية البريطاني السيد غري إلى توجيه تعليماته في الخامس والعشرين من أيار ١٩١٠، لكل

من لوثر ومارلنك بضرورة تقريب وجهات النظر بين كوكس وكرو، والعمل على تسوية الخلاف محلياً بين نظيف وخزعل باعتماد مجموعة نقاط أولها تعهد الشيخ خزعل بتسليم المجرمين العثمانيين وعدم إثارة المشاكل في الأراضي العثمانية، وإبلاغ الشيخ خزعل بأنَّ بريطانيا لن تدعمه في خلافه مع والي البصرة إلَّا إذا التزم بتلك الوعود، وتعبير الوالي عن أسفهِ للضرر الذي لحق بأُسرة الشيخ والتأكيد له بعدم التعرض لممتلكاته والمنطقة التابعة له في الجانب العثماني[١١٩].

حوَّل كل من لوثر ومارلنك بشكلٍ سريع تعليمات غري إلى كرو وكوكس على التوالي[١٢٠]، وذهب ويلسون نيابةً عن كوكس إلى البصرة للقاء كرو ومناقشة آلية تحقيق التسوية بموجب توجيهات غري والنقاط التي وجب تضمينها في رد الشيخ خزعل على رسالة سعد بك لإنهاء التوتر والتعديلات المرجو الحصول عليها في موقف الوالي[١٢١]. كما توجه ويلسون للقاء الشيخ خزعل الذي كان من جانبه غير راضٍ بمشروع التسوية الأولي كما جاء في رسالة سعد بك، ووصفها بأنَّ «شروطها غير عادلة وتشكل تهديداً له»[١٢٢]، وأكدا أنه سعى من جانبهِ للحفاظ على علاقاتٍ جيدة مع سليمان نظيف ولم يقم بأي عمل استدعى كل إجراءات نظيف، وخصوصاً ضربه كوت الزين، معرباً عن رغبته بشكل من الاعتذار أو التعبير عن الندم على الخسارة الشخصية التي لحقت بهِ[١٢٣]، كما لفت الانتباه إلى تعاظم القوة البحرية للعثمانيين في شط العرب وإلى أنها سرعان ما تكون لها الغلبة ما لم تدعمه بريطانيا[١٢٤]. ومع أنه أبدى استعداده للتعاون مع القنصل البريطاني لإعداد الرد المطلوب إلى الوالي العثماني فإنه «حذر من مغازلة الأتراك أكثر من اللازم»[١٢٥].

بالمقابل تحرك كرو للقاء سعد بك سعياً وراء إجراء بعض التعديلات في مضمون التسوية، ووجه له خطاباً اقترح فيه تقديم سليمان نظيف أسفه لشيخ المحمَّرة عن وفاة زوجته والقصف غير المقصود لمنزل والدته والتعهد بإصلاحه، وحاول كرو تقديم اقتراحه بطريقة تجعله يبدو كما لو كان يصب في مصلحة الوالي من خلال التأكيد على رغبة بريطانيا في تحقيق المصالحة لحماية حقوق الدولة العثمانية من خلال استخدامها لنفوذها في ضبط سلوك الشيخ خزعل، مضيفاً أنَّ «على الوالي متابعة الأحداث لفهم أنَّ الشيخ تحت حماية الحكومة البريطانية[١٢٦]. بقبول اقتراحي يسهل الوالي مهمتي»[١٢٧].

جاء رد نظيف الذي نقله نائبه إلى كرو بعيداً تماماً عما تمنى الأخير، إذ أكد رفض مقترح كرو، وتمسك الحكومة العثمانية بعدم التساهل مع الشيخ خزعل «طالما استمر في ترك المحمَّرة ملاذاً لقطاع الطرق والمجرمين»، معلقاً: «إنه لا توجد علاقة بين ما قامت بهِ الحكومة في كوت الزين ومنصبك»[١٢٨]. تفاجأ كرو من رد نظيف خصوصاً أنه ظن أنَّ من السهل الحصول على اعتذار منه على الضرر الذي لحق بخزعل[١٢٩]، وحاول إرجاع موقف الوالي إلى كل الحفاوة والتكريم اللذين استقبل بهما نظيف في بغداد علاوة على برقية التهنئة التي وصلته من إسطنبول على ما قام بهِ في كوت الزين[١٣٠]، متناسياً طبيعة شخصية سليمان نظيف وما عُرف عنه من اندفاع من جهة، وهدفه وحكومته من وراء التحرك في فرض مركزية الدولة وتعزيز

سيطرتها ورغبة نظيف في تحقيق نجاح حقيقي في ذلك الصدد. وعلى أي حال فإنَّ كرو ظل محتفظاً بأمله بإمكانية إقناع الوالي بتقديم اعتذار إذا ما قدم الشيخ خزعل الجواب المنتظر منه على رسالة سعد بك، ورفع توصية بهذا المعنى إلى السفير البريطاني في إسطنبول[١٣١].

أثار موقف الوالي امتعاض كوكس الذي أكد أنَّ عدم الحصول على التعديلات المطلوبة من الوالي العثماني «سوف يُلحق الضرر بنفوذنا وبهيبة الشيخ بشكلٍ لا يمكن إصلاحه»[١٣٢]. ولتحقيق تسوية نهائية تصب في مصلحة الشيخ طالب كوكس بإطالة أمد زيارة سليمان نظيف إلى بغداد بعد أنْ أحس أنَّ سعد بك شخصاً أكثر ليونة وسلاسة بالتعامل[١٣٣]، غير أنَّ الرد جاء من وزير الخارجية البريطانية بصعوبة اتخاذ أي إجراء لتحقيق طلب كوكس «لأنَّ القيام بذلك سيعطي انطباعًا بأننا كنا نحاول منعه من الدفاع عن نفسه»[١٣٤]، وهو كلام حمل في طياته أنَّ الخارجية البريطانية كانت تتحرك ضد سليمان نظيف في إسطنبول.

تواصل كوكس وويلسون مع الشيخ خزعل لصياغة الرد إلى الوالي، سبقه قيام خزعل بتسليم أربعة أشخاص من المتهمين بحادثة مناوي باشا إلى السلطات في البصرة حتَّى قبل عودة نظيف إليها[١٣٥]، ومع وصوله البصرة في الأول من حزيران ١٩١٠ استعجل كرو الرد موجهاً برقية إلى السفير البريطاني في إسطنبول في الثاني من حزيران، حُوِّلت إلى وزارة الخارجية البريطاني في اليوم التالي، جاء فيها: «يبدو إنَّ طهران وبوشهر يؤخران رد الشيخ، أعتقد إنَّ هذا هو الأكثر حماقة... ينبغي السماح لنا بتسوية الأمور محلياً وفقاً للخطوط المقترحة من وزارة الخارجية»[١٣٦]، وبالفعل تمَّ إرسال رد الشيخ خزعل إلى الوالي سليمان نظيف بيد وكيله الحاج ريس في الرابع من حزيران ١٩١٠.

تضمن الرد رفض خزعل لكل التهم التي وجهت إليه وأتباعه ونفيها بالكامل، بدءًا بالحادثة التي تسببت بالهجوم على كوت الزين، المتمثلة بتهديد محمد الكنعان لأغا الشرطة مستدلاً بأنَّ الأخير عندما زاره لم يذكر له أي شيء بهذا الخصوص، كما أنَّ الكنعان فارسي الجنسية ولا ينطبق عليه موضوع تسليم المطلوبين، مضيفاً أنه تنفيذاً لما ورد في رسالة سعد بك تمَّ إبعاده عن كوت الزين واستبداله بآخر هناك، أمَّا طلب سعد بك الثاني المتمثل بالقبض على قتلة چلميران فأكد خزعل أنه على الرغم من المحاولات الكثيرة لم يتم العثور على أي منهم، وأنهم ليسوا من سكَّان مناطقه ومع ذلك جهود البحث عنهم مستمرة، أمَّا بخصوص حادثة مناوي باشا فأشار إلى الأربعة الذين سبق وسلمهم إلى السلطات العثمانية. وختم رسالته بالتعليق على طلبات الوالي في الرسالة بأنه مواطن فارسي وهناك معاهدة تنظم العلاقات بين البلدين لا يمكنه خرقها، ومع ذلك فإنه مستعد بحكم الجوار لكل المساعدة الضرورية لمنع الجريمة وإرساء الأمن في المنطقة، مؤكداً أنَّ قبائله لم ترتكب أي مخالفة للقانون على الأراضي العثمانية، ومضيفاً: «لقد بذلت كل جهدي، وسأواصل بذل قصارى جهدي، للحفاظ على الأمن والسلام مثل هذا الذي ننعم بهِ الآن»[١٣٧].

قابل سليمان نظيف رسالة خزعل برد ودي تضمن بعض عبارات المجاملة[١٣٨]، وأعرب للحاج ريس عن حرصه على تدقيق أسماء المطلوبين قبل إرسالها للشيخ والحفاظ على ممتلكات خزعل

عـلى الأراضي العثمانية[١٣٩]. هنـا جاء دور القنصل البريطاني في البـصرة السيد كرو الذي سعى لمطالبة الوالي بـشيء من الأسف لخزعل بعد تقديم الأخير لرد انسجم مع ما أراده الوالي، وكان تحرك كرو للقاء سليـمان نظيف في السابع من حزيـران، بادر خلاله نظيف بالإعراب عن استيائـه الشديد لتدخل كرو في موضوع العلاقات مـع المحمَّرة، مستنكراً كيف أمكـن للحكومـة البريطانية التي ساعـدت الدولة العثمانية كثيراً خـلال السنوات المنصرمة أنْ تنقلب ضدها من أجل إمارة صغيرة مثل المحمَّرة، وتكلم عـن حجـم مفاجئتـه مـن رسائل كـرو بخصوص كـوت الزين التي هي جزء مـن الأراضي العثمانية، وأنَّ الجهـة الوحيـدة التـي تمتلك الحـق في التدخل وتوجيهه هي حكومتـه، وأنه رافض بشكل قطعي لأي تدخـل من كرو سواء كـان ذلك على المستوى الشخـصي أو الرسمي مـا دام «الموضـوع لا يخص إنكلترا بأي حال من الأحوال»[١٤٠].

حـاول كرو امتصاص انفعـال نظيف بالإعراب عـن أسفه للتدخل، فـ«لا مفر من وجود إصبعنا في العديـد من الفطائر، لكن ذلك لا يستوجب تعكير صفو العلاقات الممتازة بيننا»، مواصلاً بأنه مضطر لإيصـال التعليـمات المكلف بها مـن حكومته، بعد التفاهـم الذي تـمَّ التوصل إليه مـع الشيخ خزعل وبهـدف الحفاظ عـلى علاقاتٍ جيدة معـه، وقرأ له جزءاً منهـا بخصـوص إمكانية «إعـراب سعادته، بطريقة ودية وسريـة عن أسفه، أي تعازيه، للضرر الشخـصي الـذي لحـق بالشيـخ، أي وفـاة زوجتـه والقلق الذي تعرضت لـه والدته، والتأكيد للشيخ بأنه إذا أوفى بوعوده فلن يكون هناك تعرض لقبائله وممتلكاتـه في الأراضي العثمانيـة»[١٤١]، وأوضح أنَّ الحكومة البريطانية لا تطلب اعتذاراً بل مجرد تعبير عن الأسـف لخسائر الشيخ الشخصيـة، مؤكداً أنَّ بريطانيـا مثلـما هـي صديقة للدولـة العثمانيـة فإنها تحمـي الشيـخ خزعـل في تعاملاتـه مـع الحكومـة القاجاريـة، وأنَّ لبريطانيـا رأس مـال مستثمـر في عربستـان يزيد على النصف مليـون باوند، مهم لها الحفـاظ عليه وتنميتـه، لذلك فهـي لا تريد وجود أي نـوع مـن الخلاف بـين البـصرة والمحمَّرة وعلى استعداد لاستخدام نفوذها لمنع الشيخ من التسبب بأي مشاكل في الجانب العثماني[١٤٢].

بعـد كل ذلك العـرض والإلحاح من كرو رفض الـوالي سليـمان نظيـف بشـكلٍ حـازم، وإنْ كـان مؤدبـاً، لأي نـوع مـن الأسـف، لاقتناعـه بسلامة موقفه وصحة تصرفـه، والأهم من ذلك أنَّ تحركه كـان نيابةً عـن الحكومـة العثمانية وليـس لأسبابٍ شخصية، وبالتالي فإنَّ أي تصرف شخصي منه بهذا الصـدد لا معنى له أو تبريـر، ولم تُجدِ كل محاولات كرو وإصراره لثني الوالي عن قراره[١٤٣].

دفـع موقف الـوالي المتصلب الشيـخ خزعل إلى إبـلاغ ويلسون عن عدم اهتمامـه بالاعتذار، معللاً موقفـه بتهور الـوالي الشديـد، وبالتالي فـإنَّ محاولة إجبـاره مـن إسطنبـول عـلى القيـام بعمـل هو غير راغـب بهِ ممكن أنْ يجر إلى نتائج عكسية وقد يلحق الضرر بخزعل أكثـر ممَّا ينفعه، معبراً عن قناعته إنَّ «الوالي ليس متهوراً فحسب، بل خائناً أيضاً»[١٤٤]، واستدل على ذلك بمجموعة حوادث، بعضها بعد تقديـم الشيـخ خزعل رده لنظيـف، مثل هدم جزء مـن منزلـه عـلى العشـار مـن جديـد، والحجز على بعـض ممتلكـات وكيل الشيـخ في البـصرة لاتهامه بعـدم تسديـد مبلـغ ضريبي متراكـم عليـه وأيضاً إحيـاء دعـوى قضائيـة ضـد أحـد أتباعـه، ورأى الشيخ أنَّ الحـل الوحيد لتأمينه من الضرر المحتمل

من الـوالي العثماني هو إبلاغ السلطـات العثمانية في البـصرة وإسطنبـول على السـواء، بدعـم الحكومة البريطانيـة لـه، وعدم التسامح مـع أي عدوان على المحمَّـرة ودفـع والي البـصرة إلى الاعـتراف بحـق بريطانيا في التدخل لحمايتها[١٤٥].

أبدى ويلسون تفهماً عالياً لما طرحه الشيخ خزعل وحاجتـه إلى إنهاء التوتر على نحوٍ واضح وصريح، مؤكـداً «إنَّ الشيـخ لديه الكثير ليخـسره ولا شيء يكسبه من معارضة الوالي»[١٤٦]، فخلافه مع الوالي وضع أمامه الكثـير من المعوقات، سواءٌ أكان ذلك في إدارة أملاكـه الواسعـة والمتنوعـة في البـصرة أو الاهتـمام بشؤون العشائر التابعة له هناك[١٤٧]. ومع أنَّ كـرو رأى إنَّ تصرفات الوالي بدت منسجمة مع القواعـد الإدارية والقانونيـة، وأنَّ تخلي الشيخ عن طلـب الاعتذار وضـع نهاية للتوتر وأعـاد المياه إلى مجاريها[١٤٨]، فقد رجَّح ويلسـون استمرار المشاكل في المنطقـة طالمـا نظيـف والياً للبـصرة[١٤٩]، وكان في تصرفـات الأخـير مـا بـرر لويلسـون اعتقـاده، فعلاوة على المشـاكل التي واجهها الشيخ وأتباعه في البـصرة، أصـدرت الحكومـة العثمانيـة قـرار في تمـوز ١٩١٠، بطلـب مـن سليـمان نظيـف، منـع بموجبـه الشيـخ خزعـل مـن تسجيـل أرض سبق وأن اشتراها، وشمل المنع وكلاء الشيخ أيضاً[١٥٠]، وكـان دافع الـوالي كما أوضحه للداخليـة العثمانية، بـأنَّ امتلاك الشيخ خزعل لتلـك الأرض يزيد من سلطتـه ونفـوذه في المنطقـة، كما أنَّ مكـان الأرض مهـم لدفاعـات الدولـة العسكرية، وهو مـا أيدته وزارة الحربيـة العثمانيـة[١٥١]. عمَـد نظيـف أيضـاً إلى تأكيـد سلطـة الدولة عـلى شط العـرب ورأس الخليـج، وضرب بقـوة عـلى أي تحركـات غـير قانونيـة، ومع أنَّ منسوب الميـاه المنخفض في فصل الصيـف حال دون تكرار استخدام الباخرة الحربية مرمريس، فإنه عمَد إلى استخدام كل السُّبُل الممكنة للسيطرة حركـة السفن سواء تلـك العائدة للشيخ خزعـل أو لبريطانيا بـما تناسب مع رؤيتـه للسيادة العثمانيـة على المناطـق التابعة لها[١٥٢]، وهـو ما أثار بالضرورة امتعاض الحكومة البريطانية.

كان من الواضح لبريطانيا أنها أمام فلسفة سياسية جديدة للوالي العثماني في البصرة تنسجم مع سياسة النظـام الجديـد في إسطنبـول نحـو تعزيـز السلطة المركزية وتحديث نظام الدولة بكل جوانبه، لذا عبَّر ساسة بريطانيا عن قناعتهم بضرورة تحديث الشيخ خزعل لأفكاره حول العلاقات الحدودية وصلاته مـع السلطـات العثمانيـة في البـصرة[١٥٣]. وحـاول بـرسي كوكس تقديم تحليـل لسياسة سليمان نظيف في البصرة من خلال رسالة طويلة رفعها إلى الوزير البريطـاني المفـوض في طهـران، استلمهـا لاحقـاً وزيـر الخارجيـة البريطاني[١٥٤]، أكد مـن خلالها أنَّ الأحـداث التـي شهدتهـا المناطق الحدوديـة كانت أبسـط مـن أن تواجه بكل الإجـراءات التي قام بها نظيـف، وأنَّ موضوع محمد الكنعـان لم يكن سوى ذريعة لسليمان نظيف، وكان هدف الدولة العثمانية الحقيقـي هـو التوغـل في الأراضي الإيرانيـة، فبعد أنْ حققـت بعـض النجـاح في الطـرف الشمالي من الحدود، شكَّل الشيخ خزعل والقبائل الملتفة حوله العقبـة الأقوى أمـام الامتـداد العثـماني في الطرف الجنـوبي، وهـذا هـو السبـب وراء جهـود نظيـف لإضعاف الشيخ خزعل مستثمراً الواقع المضطرب

في إيـران في تلك المرحلة، ومشـاكل الشيخ خزعل مع الحكومة في طهران ومع جيرانه قبيلة البختيارية، قابلها قوة غير مسبوقة في الجانب العثماني في العراق إثر وصـول الوالي ناظـم باشـا (١٩١٠- ١٩١١) إلى بغـداد[١٥٥] مدعومـاً بصلاحيـات وإمكانيـات ماديـة وعسكرية واسعـة، وتعيين سليمان نظيف في البـصرة وكل مـا عرف عنه من حـزم وهمة، وأيضاً وصـول الباخرة الحربيـة مرمريس إلى رأس الخليج ومـا قدمته مـن دعم للموقف العسكـري العثماني، ونجـح الـوالي باختيـار أداتـه للتصادم مـع خزعل بـإصراره عـلى اعتقـال محمـد الكنعان عـلى الرغم مـن يقينـه باستحالة موافقـة خزعل عـلى تسليمه، واستدل كوكس على صحة تحليله بتطور الأحداث السريع، والدعم الذي حصل عليه والي البصرة من المركز في إسطنبول ومن بغداد على السواء، ورفضه لأي تراجع رغم كل محـاولات بريطانيا[١٥٦]. وهو تحليل جدير بالاهتمام مع ضرورة التنويه أنَّ الهدف العثماني كـان فرض السيـادة عـلى الأراضي التابعة للدولـة العثمانيـة ضمـن رؤيـة مركزيـة، بموجب الحدود المنصوص عليها في معاهدة ارضروم الثانية والتـي تعرضـت لتغيراتٍ كثيرة عـلى أرض الواقع بالامتـداد على حسـاب الحدود العثمانيـة في المنطقة الجنوبيـة خـلال الستـين عامـاً التي أعقبـت توقيع المعاهدة.

عـلى الرغـم من تأكيـد كوكس عـلى أنَّ تحركات نظيف كانت بناءً على تعليمات من المركز وبالتنسيق معـه، فقـد طالـب ملحـاً بالعمل عـلى إبعـاده عن البـصرة واستبدالـه بآخـر، مـبرراً ذلـك لصالـح الشيخ خزعـل الذي بات يصعب تعامله مع الوالي ضمـن سياق العلاقـات الودية أو حتَّـى الطبيعية. الأهـم مـن ذلـك وفقـاً لكوكـس أنَّ إبعـاد نظيف كـان ضروريـاً لمصلحـة بريطانيـا، مذكـراً بوصف كـرو له بأنـه عديـم الخـبرة والدبلوماسيـة، كما أنه رفض السماح لقناصـل بريطانيا التدخل في مناقشة موضوع المحمَّـرة، والأسوأ أنه تبنى سياسة معادية للمصالح البريطانية في الخليج، وأنكر على بريطانيا أي حقوق في الكويت التي عمل على تعزيز علاقاته بحاكمها وتقوية النفـوذ العثماني فيها[١٥٧]، ورفض النفوذ الـذي تمتعت بهِ بريطانيا في البحرين وفي أي مكـانٍ آخر بالخليج، مشيراً إلى أنَّ الوالي الجديد ربما كـان أيضاً معادياً لمصالـح بريطانيا في المنطقة، لكنه لن يكـون بنفس حـزم وشدة سليـمان نظيف[١٥٨]. كـما أنَّ استبدال نظيف بوالي آخـر أقل عدوانية من شأنه دفع الشيـخ إلى إدراك قيمة التدخل البريطاني وفائدة الالتزام بتوجيهات بريطانيا، مع تأكيده على أنَّ «مـن مصلحتنا الحفاظ على شيخ المحمَّرة حاكماً عربيـاً قويـاً عـلى رأس الخليـج»[١٥٩]، واسترسـل في الدفـاع عـن الشيخ خزعـل وموقفـه، مشيراً إلى أنـه أكثر استنـارة ممن سبقه في حكـم المحمَّرة، وأنَّ «مقاطعاتـه هـي الأكثـر أمنـاً والأقوى حكـماً» مما حولهـا، مشـدداً عـلى أنَّ أي ضرر «يلحـق بنفـوذه ومكانتـه سوف يؤثـر سلباً على مصالحنـا التجارية في أرضـهِ»؛ لذلـك من الـضروري العمل للحفاظ على هيبتـه وتعويضه عما أصابه مـن ضرر[١٦٠]. كما طالـب كوكـس بإبعاد كـرو عـن أي تعامل خاص بموضـوع المحمَّـرة وعلاقـة الشيـخ خزعـل مـع السلطـات العثمانيـة، منتقـداً موقفـه بوصفـه ميالاً للعثمانيين[١٦١].

وجدت آراء وتحليلات كوكس قبولاً لدى ساسة بريطانيا، فساندها الوزير البريطاني المفوض في طهران، وأحال مضمونها ورأيه إلى وزير الخارجية البريطانية[١٦٢]، الذي دعم بدوره ما ورد فيها، مؤكداً أنَّ الاستنتاج الذي توصل إليه هو «إنَّ الوالي كان تعسفياً وعنيفاً... على خلاف موقف الشيخ الذي كان تصالحياً ومعقولاً»[١٦٣]، كما ناقشت الحكومة البريطانية في الهند الموضوع، وأبدت قلقها من محاولات سليمان نظيف فرض النفوذ العثمانية في منطقة الحدود الجنوبية بين الدولتين القاجارية والعثمانية، وأبدت قلقها من امتداد السياسة على طول الشاطئ العربي للخليج «مما يعرض هيبة النفوذ البريطاني واستقراره في جميع أنحاء المنطقة المذكورة للخطر»[١٦٤].

نقلت تلك القناعات ما طرحه كوكس إلى التطبيق، وكانت الخطوة الأسهل في الإجراءات التي طلبها هي ما خص كرو، فكتب غري في رسالةٍ وجهها إلى لوثر بـ «أنَّ السيد كرو في تعامله مع هذهِ المسألة، قد فشل في إدراك ماهية علاقات حكومة جلالته مع الشيخ، والمصالح المهمة لبريطانيا العظمى في مناطق الخليج»[١٦٥]. لكن الوضع بدا صعباً فيما خص إبعاد نظيف عن البصرة، فأعرب لوثر عن قلقه من أنَّ التدخل لدى الحكومة العثمانية بخصوص وضع المحمَّرة أو حكومة البصرة قد يُفهم من الحكومة العثمانية على أنه إجراء عدواني واعتداء على السيادة الوطنية[١٦٦]، وشاركه في القلق إدوارد غري عن الحد الذي بالإمكان الوصول إليه مع الحكومة العثمانية في الضغط عليها لإبعاد نظيف عن البصرة[١٦٧]. ومع أنه من غير الواضح تماماً الدور الذي قامت بهِ بريطانيا في ذلك الصدد، فهناك عدة مؤشرات على أنَّ ساستها تحركوا بقوة وكانوا أحد الأسباب الفاعلة في إبعاد سليمان نظيف عن البصرة التي غادرها بعد نقله إلى ولاية أخرى[١٦٨]، في العشرين من أيلول سنة ١٩١٠[١٦٩]، فمثلاً الرسائل الكثيرة التي انهالت على الحكومة المركزية في إسطنبول من حلفاء خزعل وبريطانيا في البصرة شكت سليمان نظيف واتهمته بأبشع التهم[١٧٠]، والإشارات العديدة التي تضمنتها مراسلات الساسة البريطانيين بخصوص إبعاد نظيف عن البصرة من بينها التوقع بأنَّ الشيخ خزعل ربما فهم إنَّ نقل نظيف كان بسبب خلافاته مع ناظم باشا وعدم الرغبة في إصدار إعلان واضح بالموضوع[١٧١]، وأيضاً إصرار إدوارد غري على تثبيت موقفه المعارض من سياسة سليمان نظيف مع الشيخ خزعل حتَّى بعد نقله من البصرة، في رسالة طويلة وجهها إلى لوثر شرح بها القصة بتفاصيلها من البداية، والموقف الذي تبنته الحكومة البريطانية، وإصدار توجيهاته للوثر بإيضاح ذلك الموقف بالكامل للحكومة العثمانية، مع إعلام الحكومة العثمانية بطبيعة العلاقة التي تربط بريطانيا بشيخ المحمَّرة[١٧٢]، الأهم من كل ذلك الإشارة الصريحة التي وردت في رسالة سليمان نظيف قُبيل مغادرته البصرة، إلى الحكومة المركزية في إسطنبول حول خلافه مع الشيخ خزعل وحيلولة نقله دون إكمال ما بدأه للقضاء على نفوذه[١٧٣]، وسعي خليفته في ولاية البصرة إلى تبرئة ساحة سليمان نظيف بخصوص إجراءاته مع الشيخ خزعل وأتباعه، والتأكيد على أنها بمجملها كانت إجراءات قانونية تهدف لتحقيق صالح البصرة[١٧٤]. كل ذلك يقدم

مؤشرات واضحة على أثر ذلك الخلاف في النقل.

عدم الحسم الواضح لموضوع والي البصرة العثماني دفع الساسة البريطانيين إلى السعي لعمل شيء يُصلح الضرر الذي تعرضت له صورتها في المنطقة، ويعيد نفوذ وهيبة الشيخ خزعل بطريقة تُرضيه، فكان من المطلوب «مواجهة قدر معين من فقدان الهيبة الذي لحق بالشيخ، والقيام بمظاهرة لمواجهة نمو الطموحات التركية في منطقة الخليج» حسب تقييم تقرير سري أعدته وزارة الخارجية البريطانية بعد أكثر من ثلث قرن على الأحداث[١٧٥]. لتحقيق ذلك قررت بريطانيا تقديم ضمانات جديدة للشيخ خزعل في آب ١٩١٠، بعد أنْ كانت موضوع نقاش وأخذ ورد استمر أكثر من سنة، لتكون شكل من التعويض للشيخ على ما تعرض له وتثميناً لالتزامه بتوجيهاتها[١٧٦]، تضمنت استعداد بريطانيا لتقديم الدعم اللازم للشيخ في حال أي تعدٍّ على ممتلكاته وحقوقه وسلطته من الحكومة الإيرانية، سواءٌ أكانت دستورية أو ملكية، وحمايته من كل اعتداء غير مبرر من قوة أجنبية على الشيخ وحقوقه وممتلكاته في إيران، وامتداد تلك الضمانات إلى نسل الشيخ من الذكور شرط التزامهم بتعهداتهم تجاه الحكومة المركزية في طهران وتوجيهات ونصائح الحكومة البريطانية[١٧٧]. وبهدف إرضاء الشيخ خزعل جرى منحه وساماً فخرياً هو وسام فارس الإمبراطورية الهندية (K.C.I.E.)، وذلك في صبيحة الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩١٠ في قصره بالفيلية خلال حفلٍ مهيب، وقدم الوسام برسي كوكس الذي وصل إلى المحمَّرة على ظهر السفينة الحربية ريدبريست (Redbreast) في الثالث عشر من تشرين الثاني، وقرر البقاء يوماً كاملاً في السفينة قبل النزول إلى الفيلية[١٧٨]، وكان ذلك حسب تعليق سترانك بغية تذكير العثمانيين باستمرار السيطرة البريطانية على الخليج بالرغم من كل محاولاتهم[١٧٩]، كما إنَّ اختيار المكان مؤشراً واضحاً لرفض الحكومة البريطانية لمطالبة الدولة العثمانية بالسيادة الكاملة على الفيلية، ومساندة الشيخ خزعل في السيطرة عليها.

على الرغم من كل تلك الإجراءات التي قامت بها بريطانيا على طريق إنهاء التوتر بين سليمان نظيف والشيخ خزعل، وتمسكها بالحفاظ على هيبة خزعل ونفوذه في المحمَّرة، ونفوذها وهيمنتها الكاملة في منطقة الخليج بلا منازع، فقد أدرك ساستها أنَّ طريقة حل الأمور لم تكن حاسمة، كما أنَّ نوع المشاكل بين والي البصرة وشيخ المحمَّرة نبَّه بريطانيا إلى القضايا العالقة التي أثيرت في الخلاف، لاسيَّما ما تعلَّق بمنطقة الحدود وتابعية مناطقها، انطلاقاً إلى نقاط الخلاف مع العثمانيين في الخليج والجزيرة العربية عموماً[١٨٠]، وهو ما قاد إلى خوض مفاوضات مع العثمانيين خلال سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ انتهت بتوقيع معاهدة بينهما في تموز ١٩١٣ تمَّ فيها الاعتراف بالاستقلال الذاتي للمحمَّرة وتبعيتها لإيران[١٨١]، كما كانت الحكومة العثمانية قد وافقت خلال مرحلة المفاوضات عن رفع الحظر عن الأرض التي سبق واشتراها الشيخ خزعل والسماح له بتسجيلها باسمه[١٨٢].

الخاتمة

شكَّل التوتر بين والي البصرة العثماني سليمان نظيف وشيخ المحمَّرة خزعل بن جابر جزء من محاولات الدولة العثمانية في فرض سيطرتها المباشرة على كل المناطق التابعة لها، مدفوعة بكل الزخم الذي عاشته الحكومة العثمانية في ذلك الاتجاه مع وصول الاتحاديين إلى السلطة، وكان التركيز أكثر على المناطق المهددة بالانفصال عنها والمناطق الحدودية، وجمعت المناطق الخاضعة للشيخ خزعل في ولاية البصرة كِلا الصفتين علاوة على مكانها المهم على رأس الخليج العربي، وكان من الصعب على بريطانيا صاحبة العلاقات المتميزة مع الشيخ خزعل والنفوذ المهيمن في الخليج العربي أنْ تكون بعيدة عن ذلك التوتر الذي وجدت فيه تهديداً لمصلحها في واحدة من أهم المناطق التي حرصت على الحفاظ على هيمنتها عليها، لاسيَّما بعد اكتشاف النفط بكمياتٍ تجارية سنة ١٩٠٨.

كان هناك اختلاف في موقف قناصل بريطانيا من التوتر، تمثل في موقف قنصل بريطانيا في البصرة المساند لوالي البصرة من جهة وموقف قنصل بريطانيا في المحمَّرة والمقيم السياسي في الخليج المطالب بمساندة الشيخ خزعل من جهة أخرى، وهو اختلاف جاء من تباين زاوية الرؤية مع بقاء الاتفاق على أنَّ المهم هو المصالح البريطانية أولاً وآخراً؛ لذا فإنه لم يشكل عقبة مؤثرة أمام الوصول إلى طريقة موحدة في التعامل مع الوضع، بل إنه ساعد الحكومة البريطانية في اتباع سياسة مسك العصا من الوسط، والسعي لعدم استفزاز الحكومة الدستورية في الدولة العثمانية أو التصادم معها، مع الحفاظ على مصالح الشيخ خزعل ونفوذه في المناطق الخاضعة له بما يخدم مصالحها، وهي الكفة التي كانت بريطانيا مدركة أنها الأهم لمصالحها ووجودها في الخليج، لاسيَّما مع الموقف المعارض الذي اتخذه سليمان نظيف من الوجود البريطاني في الخليج العربي جزءاً من موقف حكومته الاتحادية. بالنتيجة فقد كان للموقف البريطاني الأثر الأساس في حسم الخلاف لصالح الشيخ خزعل، وبالتالي تعزيز الوجود البريطاني في رأس الخليج وزيادة ارتباط الشيخ خزعل بها وتقوية نفوذها في المحمَّرة وتأمين مصالحها هناك، ولم تتردد لتحقيق ذلك من السعي لإبعاد سليمان نظيف عن البصرة، وتقديم ضمانات جديدة للشيخ خزعل جعلته أكثر ارتباطاً بها، علاوة على نجاحها في خطوةٍ لاحقة بعقد معاهدة مع الدولة العثمانية أمنت من خلالها سلطة الشيخ خزعل على الأراضي الخاضعة له وتمتعه بالاستقلال الذاتي في المحمَّرة.

ملحق

تعيين الحدود العثمانية الإيرانية بموجب معاهدة ارضروم الثانية[١٨٣]

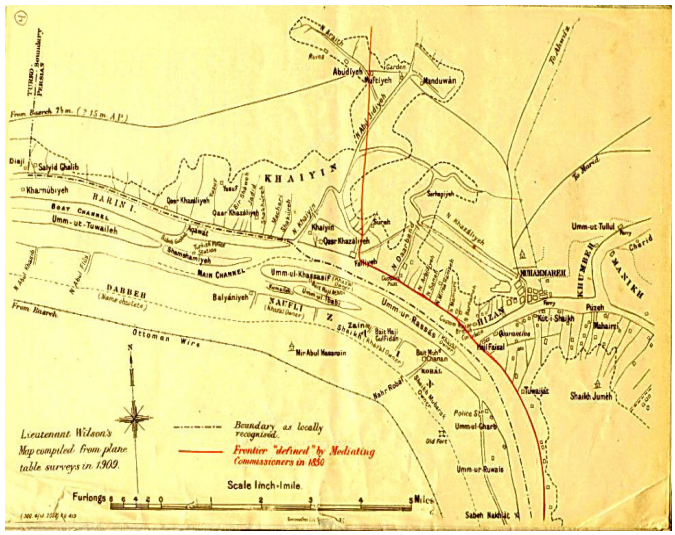

قائمة المراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة باللغتين الإنكليزية والعثمانية

- India Office Records (I O R)

- IOR/L/PS/18/B 380, 14638, Memorandum Respecting the Frontier between Mohammerah and Turkey, Translation of the New Treaty of Erzerom 1847 by Mr. Redhouse at Erzeroum.

- IOR/ R/ 15/2/1747, Letter from Sir A. Hardinge to the Sheikh, 7 December 1902.

- IOR/L/PS/20/C 242, Secret, Gulf gazetteer. Part 1. Historical and Political Materials. Précis of Persian Arabistan affairs, Written by J.A. Saldana, 1 December 1903.

- IOR/L/PS/10/ 132, File 345/1908 Pt 1, Mohammerah: Situation. British Assurances to Sheikh.

- IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh.

- IOR/ L/ PS/ 20/70, A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan by Lieutenant A. T. Wilson Acting Consul for Arabistan, Calcutta, 1912.

- IOR/L/PS/10/188, File 3846/1910 'Mesopotamia: Baghdad affairs. Miscellaneous.

- IOR/L/MIL/17/15/10/ 2, P-53 Con No.70, Military Report on S. W. Persia, Volume II. Arabistan, Compiled in the Division of the Chief of the Staff, Army Head Quarters in India. Printed at the Government Monotype Press, Simla, 1910.

- IOR/L/PS/10/262/2, File 1247/1912 Pt 2, Anglo-Turkish Agreement. Acceptance by Sheikhs of Koweit and Mohammerah, 19 October 1896-25 September 1913.

- IOR/ R/ 15/2/1747, File 29/6, Confidential British Relation with Khazal Shaikh of Khorramshahr, 26 November 1946.

- Başbakanlık Osmanlı Arşivi (B.O.A.)

- B.O.A., DH. Mtv, 14/1, 1326 (1910).

- B.O.A., DH. Mtv, 44-2/1, 1326 (1910).

- B.O.A., DH. Mtv. 56/6, 1326 (1910).

- B.O.A., DH. Mtv, 124/60, 1326 (1910).

ثانياً: الكتب والدراسات العربية والمعربة

– أروند ابراهيميان، تاريخ إيران الحديثة، ترجمة: مجدي صبحي، (عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٤).

– آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين ١٩٠٦–١٩٧٩، (عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩).

– أنعام مهدي علي السلمان، حكم الشيخ خزعل في الاحواز ١٨٩٧–١٩٢٥، (دار الكندي، بغداد، ١٩٨٥).

– ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء السابع، (قطر، بلا).

– خالد السعدون، العلاقة بين شيخ المحمَّرة والسلطات العثمانية في ولاية البصرة ١٩٠٨–١٩١٤، «شؤون اجتماعية»، مجلد ١٨، عدد ٧٢، الشارقة، ٢٠٠١.

– خضير البديري، التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، ط٢، (العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥).

– سعد عبد الواحد عبد الخضر، الوالي ناظم باشا أعماله وإصلاحاته في بغداد ١٩١٠–١٩١١، «دراسات تربوية»، العدد ٢٥، ٢٠١٤.

– عبد الرزاق الحسني، تاريخ الصحافة العراقية،

الجزء الأول، (مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٥).

– سؤدد كاظم مهدي، آرنولد ويلسون ودوره في السياسة العراقية، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٢٢).

– علي نعمة الحلو، الأحواز «عربستان» إمارة كعب العربية في المحمَّرة، الجزء الثالث، (دار البصري، بغداد، ١٩٦٩).

– عماد حمد صالح عبد حليم الجبوري، موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية ١٩٠٨–١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٦.

– محمد علي عامر، المحمَّرة والوحدة العثمانية، ترجمة: محمد صالح، إعداد: أحمد أمين غزي، (الهلال، مصر، ٢٠١٥).

– مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧–١٩٢٥، تقديم: أحمد عبد الرحيم مصطفى، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١).

– نجدة فتحي صفوة، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩).

– نضر علي أمين الشريف، إدارة الوالي ناظم باشا لولاية بغداد ١٩١٠–١٩١١، «مجلة كلية الآداب»، العدد ٩٠، ٢٠٠٩.

– ويليام ثيودور سترانك، حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان، ترجمة: عبد الجبار ناجي، ط٢، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦).

ثالثاً: البحوث والدراسات الأكاديمية باللغة التركية

- Burcu Kurt, II. Meşrutıyet Döneminde Basra Vilayeti 1908-1914, Doktora Tezi, Marmara Üniversitesi, Turkey, 1912.

- Burcu Kurt, Irak'ta "Muktedir" ve "Müşteki" Bir İttihatçı: Süleyman Nazif Bey'in Basra Valiliği, Akademik İncelemeler Dergisi, Cilt 7, Sayı 2, 2012.

- Kadir Baycan, Süleyman Nazif›iz Bütün Eserleri (1 Ağustos 1909 – 31 Aralık 1909), Metin– İnceleme– İndeks, Yüksek Lisans Tezi, Marmara Üniversıtsi, İstanbul, 2019.

- Kemal Erol, Malta Sürgünde Bır Şaır: Sülyman Nazif, Türkiyat Mecmuası Journal of Turkology, İstanbul Unıversıty Press, Cilt 28, Sayı 2, 2018.

- Mehmet Korkmaz, Basra Körfezi'nde Osmanlı Denizcilik Faaliyetlerı (1847-1914), Doktora Tezı, İstanbul Üniversitesi, 2018.

الهوامش

١. عن ظروف التأسيس وتطور الإمارة، أنظر: علي نعمة الحلو، الأحواز "عربستان" إمارة كعب العربية في المحمَّرة، الجزء الثالث، دار البصري، بغداد، ١٩٦٩، ص٦-٥٣؛ مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥، تقديم: أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص٢٩-١٠٥؛ أنعام مهدي علي السلمان، حكم الشيخ خزعل في الأحواز ١٨٩٧-١٩٢٥، دار الكندي، بغداد، ١٩٨٥، ص٦-٣٢.

٢. تأسَّست الدولة القاجارية في إيران سنة ١٨٩٦ على يد محمد آغا خان القاجاري بعد أن حسم الصراع على العرش بين القبائل هناك لصالحه وقبيلته، واستمر القاجاريون في حكم إيران حتَّى سنة ١٩٢٥ عندما خلع رضا خان آخر ملوكها ونصب نفسه على العرش في إيران باسم رضا شاه بهلوي. أنظر: أروند ابراهيميان، تاريخ إيران الحديثة، ترجمة: مجدي صبحي، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٤، ص٢٣-٩٥؛ خضير البديري، التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، ط٢، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥، ص١٥-١٠٣.

٣. كانت التسمية الرسمية لإيران خلال مدة البحث هي بلاد فارس، ومع ذلك فقد آثرنا استخدام تسمية إيران تجنباً للإرباك مع التزامنا بالتسمية داخل النصوص المقتبسة كما وردت بالنص الأصلي، وفي الإشارة إلى نوع الجنسية أيضاً.

4. See: IOR/L/PS/18/B 380, 14638, Memorandum Respecting the Frontier Between Mohammerah and Turkey, Translation of the New Treaty of Erzerom 1847 by Mr. Redhouse at Erzeroum.

5. IOR/ R/ 15/2/1747, File 29/6, Confidential British Relation with Khazal Shaikh of Khorramshahr, 26 November 1946, p.4.

6. IOR/ L/ PS/ 20/70, A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan by Lieutenant A. T. Wilson Acting Consul for Arabistan, Calcutta, 1912, p.58.

7. Ibid, p.41, 57.

8. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 17, From F. E. Crow the Britannic Consul at Basrah to Sir G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, Basrah, 10 March 1909.

9. See: Ditto, Document No. 55, Confidential, From W. Macdouall the British Consulate at Mohammerah to The Political Resident and his Britannic Majesty's Consul- General, 24 April 1909; IOR/ L/ PS/ 20/70, A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan, pp.41-45.

10. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 476, Confidential, From Lieutenant A.T. Wilson, Acting Consul to the Political Resident in the ''Persian'' Gulf at Bushire, 12 May 1910.

11. IOR/L/PS/20/C 242, Secret, Gulf gazetteer. Part 1. Historical and Political

Materials. Précis of Persian Arabistan affairs, Written by J.A. Saldana, 1 December 1903, p. 85.

١٢. Ibid; ج ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء السابع، قطر، بلا، ص3933.

13. IOR/R/15/2/ 1747, File 29/6, Confidential, British Relations with Khazal, Sheikh of Khorramshahr, Confidential, Document No. 17132 [L 2592/ 2592/ 402/ 1946], Foreign Office, 26 November 1946, p.2.

14. IOR/ L/ PS/ 20/70, A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan, 1912, p.33.

15. Ibid.

16. Ibid, p.35.

17. IOR/L/PS/20/C 242, Secret, Gulf gazetteer Précis of Persian Arabistan affairs, 1 December 1903, p. 91.

18. IOR/ L/ PS/ 20/70, A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan, 1912, p.35.

19. IOR/L/PS/20/C 242, Secret, Gulf gazetteer Précis of Persian Arabistan affairs, 1 December 1903, p.79.

20. Ibid, p.82.

21. Ibid, p.95.

22. Ibid.

23. IOR/ R/ 15/2/1747, Letter from Sir A. Hardinge to the Sheikh, 7 December 1902.

24. IOR/L/PS/10/ 132, File 345/1908 Pt 1, Mohammerah: Situation. British Assurances to Sheikh, Letter From Consul- General Cox to Sheikh of Mohammerah, 1 December 1908.

25. IOR/L/PS/18/B 380, 14638, Memorandum Respecting the Frontier Between Mohammerah and Turkey, Confidential, Memorandum by Mr. Alwyn Parker Respecting the Frontier Between Mohammerah and Turkey, Persia, 3 April 1912; Burcu Kurt, II. Meşrutıyet Döneminde Basra Vilayeti 1908-1914, Doktora Tezi, Marmara Üniversitesi, Turkey, 1912, pp.461-462.

26. IOR/L/MIL/17/15/10/ 2, P-53 Con No.70, Military Report on S. W. Persia, Volume II. Arabistan, Compiled in the Division of the Chief of the Staff, Army Head Quarters in India. Printed at the Government Monotype Press, Simla, 1910, p.7.

27. Ibid, p.6.

28. Kemal Erol, Malta Sürgünde Bır Şaır: Sülyman Nazif, Türkiyat Mecmuası Journal of Turkology, İstanbul Unıversıty Press, Cilt 28, Sayı 2, 2018, s.25-26; Kadir Baycan, Süleyman Nazifʲiz Bütün Eserleri (1 Ağustos 1909 – 31 Aralık 1909), Metin– İnceleme– İndeks, Yüksek Lisans Tezi, Marmara Üniversıtsi, İstanbul, 2019, s.2-3.

29. Kadir Baycan, Op. Cit, s.3.

30. Kemal Erol, Op.Cit, p.26; Burcu Kurt, Irak'ta "Muktedir" ve "Müşteki" Bir İttihatçı: Süleyman Nazif Bey'in Basra Valiliği, Akademik İncelemeler Der-

gisi, Cilt 7, Sayı 2, 2012, s. 158-159.

٣١. سليمان نظيف، فراق عراق مصائب وطنه آغلايان برقاج نشيده، محمود بك مطبعه سى، استانبول، ١٩١٨.

32. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikho, Document No. 55, Confidential, From W. Macdouall the British Consulate at Mohammerah to The Political Resident and his Britannic Majesty's Consul- General, 24 April 1909; Ditto,Document No. 566, a Letter from Acting Consul Wilson to Consul- General Cox, Mohammerah, 4 June 1910.

33. Mehmet Korkmaz, Basra Körfezi'nde Osmanlı Denizcilik Faaliyetlerı (1847-1914), Doktora Tezı, İstanbul Üniversitesi, 2018, s. 101-102.

34. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Confidential, Letter No C.36, from Captain W.H.I. Shakesper The Political Agent in Kuwait to the Political Resident in Bushire, 15 June 1910.

٣٥. أنعام مهدي علي السلمان، المصدر السابق، ص١٥، ٦٨؛ محمد علي عامر، المحمَّرة والوحدة العثمانية، ترجمة: محمد صالح، إعداد: أحمد أمين غزي، الهلال، مصر، ٢٠١٥، ص٤٥.

36. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 14, From F. E. Crow the Britannic Consul in Basrah to G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, 9 March 1909.

37. Ditto, Document No. 22, a Despatch from F. E. Crow the Britannic Consul in Bussorah to to Sir G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, Bussorah, 23 April 1910.

٣٨. صدرت الجريدة باللغتين العربية والتركية في البصرة، وكان تاريخ أول عدد لها في الأول من حزيران ١٩٠٩. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الصحافة العراقية، الجزء الأول، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٥، ص٤٨.

39. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 22, a Despatch from F. E. Crow the Britannic Consul in Bussorah to to Sir G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, Bussorah, 23 April 1910.

40. Ibid.

٤١. في العام ١٨٧٦ عُقدت معاهدة بين الدولتين العثمانية والقاجارية نظم بموجبها عدة مواضيع في المناطق الحدودية، في مقدمتها تسليم المطلوبين لكلا الجانبين وشروطه. أنظر:

A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan By Lieutenant A. T. Wilson Acting Consul for Arabistan, Calcutta, 1912, p.56.

42. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2,

Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 22, a Despatch from F. E. Crow the Britannic Consul in Bussorah to to Sir G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, Bussorah, 23 April 1910; Ditto, Document No.444, From Lieutenant A.T. Wilson, Acting Consul to The Political Resident in the ''Persian'' Gulf in Bushire, Mohammerah, 7 May 1910.

43. Ditto, Confidential, A Later from A.T.Wilson to Crow, Mohammerah, 24 April 1910.

44. Ditto, Document No. 22, a Despatch from F. E. Crow the Britannic Consul in Bussorah to to Sir G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, Bussorah, 23 April 1910.

45. Ibid.

46. Ibid.

47. Ditto, Translation of Circular Telegram addressed to the Mutessarif of Amara, Kaimakam of Kurna and Fao, Mudirs of the Nahies of Bussorah, 24 April 1910.

٤٨. ما يجدر ذكره أنَّ الوثائق العثمانية تذكر أنَّ إطلاق النار بدأ من كوت الزين، وهو ما قوبل بالرد من القوات العثمانية، ومع أنها رواية يصعب تصديقها في ضوء الفارق في القوة بين الجانبين مع وجود مرمريس، فالحقيقة المفروغ منها أنه حصل إطلاق نار قوي من القوات العثمانية على قرية كوت الزين.

B.O.A., DH. Mtv. 56/6, 2 Teşriniesani 1326 (15 November 1910)

49. Ditto, Document No. 404, Telegram From Acting Consul Wilson to Consul- General Cox, Mohammerah, 25 April 1910; Ditto, Document No. 405, Telegram From Acting Consul Wilson to Consul- General Cox, Mohammerah, 26 April 1910; Ibid, Later From A.T.Wilson to Crow, Basrah, 26 April 1910.

50. Ditto, Translation of Later From Vali of Bussorah to Persian Consul- General at Bussorah, 26 April 1910.

51. Ditto, A Later From Vali of Bussorah to Persian Consul- General at Bussorah, 26 April 1910.

52. Ditto, Document No. 23, a Later From Consul Crow To Sir G. Lowther, Bussorah, 28 April 1910.

٥٣. للتفاصيل حول آرنولد ويلسون ونشاطه السياسي، أنظر: سؤدد كاظم مهدي، آرنولد ويلسون ودوره في السياسة العراقية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٢٢.

54. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Confidential, A Later from A.T.Wilson to Crow, Mohammerah, 24 April 1910.

55. Ditto, Telegram No.404, From His Britannic Majesty's Consul of Mohammerah to The Political Resident in the ''Persin'' Gulf- Bushire, 25 April 1910.

56. Ditto, Telegram No.405, From His Britannic Majesty's Consul of Mohammerah to The Political Resident in the ''Persin'' Gulf- Bushire, 26 April 1910.

57. Ditto, A Later From A.T.Wilson to Crow, Basrah, 29 April 1910.

58. Ditto, A Later From A.T.Wilson to Crow, Basrah, 26 April 1910.

59. Ditto, Document No. 423, From Lieutenant A.T. Wilson, Acting Consul to The Political Resident in the ''Persian'' Gulf in Bushire, Mohammerah, 30 April 1910; Ditto, Document No. 444, From Lieutenant A.T. Wilson, Acting Consul to The Political Resident in the ''Persian'' Gulf in Bushire, Mohammerah, 7 May 1910.

٦٠. للتفاصيل حول الثورة الدستورية والحكومة التي تشكلت إثرها في إيران وكل التطورات المصاحبة، راجع: اروند ابراهيميان، المرجع السابق، ص٥٧-٨٩؛ آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين، ١٩٠٦-١٩٧٩، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩، ص٧-٣٧.

61. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 209, Decipher, from Mr. Marling to forging Office, 3 May 1910.

62. Ditto, Document No. 405, Telegram From Acting Consul Wilson to Consul-General Cox, Mohammerah, 26 April 1910.

63. Ditto, A Later From A.T. Wilson to Colonel Cox, Mohammerah, 30 April 1910.

64. Ditto, Document No. 46, A Later From F.E. Crow to A.T. Wilson, Basrah, 27 April 1910.

٦٥. تُشير الوثائق العثمانية إن ذلك كان جزء من أعمال عمرانية لتوسيع الشارع وتطوير المنطقة. أنظر:

B.O.A., DH. Mtv, 44-2/1, 4 Mayis 1326 (5 June 1910).

٦٦. يلدز، كلمة تركية تعني نجمة، وهو اسم أطلق على مقر إقامة السلطان عبد الحميد الثاني الذي خلعه الاتحاديون عن عرش السلطنة العثمانية سنة ١٩٠٩، واستخدام نظيف لهذا الوصف يظهر مدى انزعاجه من النفوذ الذي تمتع بهِ الشيخ خزعل في المناطق التابعة للدولة العثمانية.

٦٧. أنظر ملحق البحث.

68. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 46, A Later From F.E. Crow to A.T.Wilson, Basrah, 27 April 1910.

69. Ibid; Ditto, Document No. 17, From F. E. Crow the Britannic Consul at Basrah to Sir G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, 10 March 1909.

70. Ditto, Document No. 46, A Later From F.E. Crow to A.T.Wilson, Basrah, 27 April 1910.

٧١. أنظر: تقرير السير جيرالد لوثر سفير بريطانيا لدى الدولة العثمانية عن الأحوال العامة في ولايات بغداد والبصرة والموصل سنة ١٩٠٨ في: نجدة فتحي صفوة، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩، ص٧٧.

72. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute

with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikho, Document No. 46, A Later From F.E. Crow to A.T.Wilson, Basrah, 27 April 1910.

73. Ditto, Telegram No. 206, From Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 1 May 1910.

74. Ibid.

٧٥. عـن الاتجاه العـام للسياسـة البريطانية تجـاه نظام حكم الاتحاديـين في سنواته الأولى، أنظر: عماد حمد صالح عبد حليم الجبوري، موقـف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية ١٩٠٨-١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة بغداد، ٢٠٠٦.

76. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikho, Document No. 211, Decipher, Telegram No. 209, from Mr. Marling to forging Office, 5 May 1910.

77. Ditto, Telegram No. 206, From Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 1 May 1910.

78. Ditto, Telegram No. 122, Confidential, From Sir Eduard Grey to Mr. Marling in Tehran, Foreign Office, 3 May 1910; Ditto, Telegram No. 86, Confidential, From Sir Eduard Grey to Sir G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, Foreign Office, 3 May 1910.

79. Ditto, Document No. 71, Telegram From Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 5 May 1910; Ditto, Document No.25, A Letter From F.E. Crow To Sir G. Lowther, Basrah, 7 May 1910.

80. Ditto, Document No. 71, Telegram From Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 5 May 1910.

81. Ditto, Document No. 94, Telegram From Sir Edward Grey to Sir G. Lowther, Foreign Office, 6 May 1910.

82. Ditto, Document No.26, a Letter from F.E. Crow to Sir G.A. Lowther, Basrah, 14 May 1910.

83. Ditto, Document No.25, a Letter from F.E. Crow to Sir G. Lowther, Basrah, 7 May 1910.

84. Ditto, Document No.25, a Letter from F.E. Crow to Sir G. Lowther, Basrah, 7 May 1910.

85. Ditto, a Letter from Acting Consul Wilson to Mr. Marling, Mohammerah, 7 May 1910; B. O. A., DH. Mtv. 56/6, 25 Teşrinievvel 1326 (7 October 1910).

86. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikho, Document No. 81, Confidential, Telegram from G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 10 May 1910; Ditto, Document No.26, a Letter from F.E. Crow to Sir G.A. Lowther, Basrah, 14 May 1910.

87. Ditto, Document No.26, a Letter from F.E. Crow to Sir G.A. Lowther, Basrah, 14 May 1910.

88. Ditto, Document No. 25031, Enclosure

Mr. Marling in Tehran, Foreign Office, 9 May 1910.

99. Ditto, Document No. 224, Confidential, Telegram from Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 10 May 1910; Ditto, Document No. 82, Confidential, Telegram from Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 11 May 1910.

100. Ditto, Document No. 16564, Foreign Office, 11 May 1910; Ditto, Document No. 16457, Confidential, From Foreign Office to Admiralty, Foreign Office, 12 May 1910.

101. Ditto, Translation from the Arabic to A Letter from Saad Bey to Sardar Arfa Sheikh Khazal, Bussorah, 10 May 1910.

102. Ibid.

103. Ibid.

104. Ditto, Document No. 476, Confidential, A Letter from the Acting Consul A.T. Wilson to the Political Resident in the "Persian" Gulf in Bushire, 12 May 1910.

105. Ditto, Document No. 230, telegram from Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 17 May 1910.

106. Ditto, Document No.73, Confidential, a Letter from Consul- General Cox to Sir G. Barelay, Bushire, 23 October 1910.

107. Ibid.

108. Ditto, Document No. 81, Telegram from Sir G Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 10 May 1910.

6 in No.1, Memorandum by Acting Consul Wilson, Mohammerah, 4 June 1910.

89. Ditto, Document No.26, a Letter from F.E. Crow to Sir G.A. Lowther, Basrah, 14 May 1910.

90. Ibid.

91. Ditto, Document No. 50, a Letter from F.E. Crow the Britannic Consul in Basrah to Saad Bay the Acting Vali in Basrah, 8 May 1910.

92. Ditto, a Letter from Saad Bay the Acting Vali in Basrah to F.E. Crow the Britannic Consul in Basrah, 8 May 1910.

93. Ditto, Document No.26, a Letter from F.E. Crow to Sir G.A. Lowther, Basrah, 14 May 1910.

94. Ditto, Document No. 17, From F. E. Crow the Britannic Consul at Basrah to G. Lowther Britannic Ambassador in Constantinople, Basrah, 10 March 1909; Ditto, Document No. C.36, A Letter from Captain W.H.I. Shakespear the Political Agent in Kuwait to the Political Resident in the "Persian" Gulf in Bushire, Kuwait, 15 June 1910.

95. Ditto, Document No. 216, Decipher, Telegram No. 211, from Mr. Marling to Sir Edward Grey, 7 May 1910.

96. Ibid.

97. Ditto, Document No. 97, Confidential, Telegram from Sir Edward Grey to Sir G. Lowther in Constantinople, Foreign Office, 9 May 1910.

98. Ditto, Document No. 137, Confidential, Telegram from Sir Edward Grey to

109. Ditto, Document No. 26, From F. E. Crow the Britannic Consul at Basrah to G. Lowther Britannic Ambassador at Constantinople, Basrah, 14 May 1910.

110. Ditto, Document No. 84, Decipher, Telegram from Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 21 May 1910.

111. Ditto, Document No. 95, Decipher, Telegram from Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 21 May 1910.

112. Ibid; Ditto, Document No. 84, Decipher, Telegram from Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 21 May 1910.

113. See: Ditto, Document No.40/ 1607, Despatch from Consul- General Cox to Mr. Marling, Bushire, 16 Jun 1910.

١١٤. تجدر الإشارة إلى أنَّ الشيخ خزعل لم ينكر في العموم الاتهام الموجه له بإثارة الاضطرابات في البصرة، واعترف بوضوح بكل ما قام بهِ للتخلص من الوالي محرم بك، مبرراً عمله بأنَّ الوالي كان "عنيفاً سيء المزاج" وصعب التعامل، بيد أنه نفى قيامه بأي نشاط تخريبي في البصرة منذ تسلم سليمان نظيف منصب الوالي فيها. أنظر:

Ditto, Document No. 566, a Letter from Acting Consul Wilson to Consul- General Cox, Mohammerah, 4 June 1910.

115. Ditto, Document No. 239, Decipher, Telegram from Mr. Marling to Sir G. Lowther, Tehran, 25 May 1910.

116. Ditto, Document No. 245, Confidential, Telegram from Mr. Marling to Sir Edward GREY, Tehran, 31 May 1910.

117. Ditto, Document No. 239, Decipher, Telegram from Mr. Marling to Sir G. Lowther, Tehran, 25 May 1910.

118. Ditto, Document No. 25031, Enclosure 6 in No.1, Memorandum by Acting Consul Wilson, Mohammerah, 4 June 1910.

119. Ditto, Document No. 165, Confidential, Telegram from Sir Edward Grey to Mr. Marling (Tehran), Foreign Office, 25 May 1910; Ditto, Document No. 114, Telegram from Sir Edward Grey to Sir G. Lowther (Constantinople), Foreign Office, 25 May 1910.

120. Ditto, Document No. 242, Confidential, Telegram from Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 27 May 1910.

121. Ditto, Document No. 244, Confidential, Telegram from Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 29 May 1910.

122. Ditto, Document No. 288, Decypher, Mr. Marling, Tehran, 24 May 1910.

123. Ibid.

124. Ditto, Document No. 566, A Letter from Acting Consul Wilson to Consul-General Cox, Mohammerah, 4 June 1910.

125. Ditto, Document No. 244, Confidential, Telegram from Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 29 May 1910.

١٢٦. تجدر الإشارة إلى أنَّ بريطانيا لم تكن قد جعلت من الشيخ خزعل تحت حمايتها، ففي التاسع من كانون الثاني ١٩١٠ استفسر وزير الخارجية البريطاني حول هذا الموضوع، وكان الجواب: "إنَّ الشيخ لم يكن شخصاً محمياً من بريطانيا لكننا نهتم بحقوقه، ولنا علاقات خاصة معه، وسندعمه في حال حدوث أي اعتداء". أنظر:

138. See: Ditto, Translation of Letter from the Vali of Bussorah to Sheikh Khazal, 28 Jemadi Evvel 1328 (6 June 1910).

139. Ditto, Document No. 35, a Letter from Consul Crow to Sir G. Lowther, Bussorah, 9 June 1910.

140. Ibid.

141. Ibid.

142. Ibid.

143. Ibid.

144. Ditto, Document No. 25031, Enclosure 6 in No.1, Memorandum by Acting Consul Wilson, Mohammerah, 4 June 1910.

145. Ibid.

146. Ibid.

147. Ibid.

148. Ibid; Ditto, Document No. 35, a Letter from Consul Crow to Sir G. Lowther, Bussorah, 9 June 1910; Ditto, Confidential, Telegram from Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, 10 June 1910.

149. Ditto, a Letter from Acting Consul Wilson to Consul Crow, Mohammerah, 8 June 1910.

150. Ditto, Document No. 838, Copy of Telegram from the Political Resident in the "Persian" Gulf to the Secretary to the Government of India in the Foreign Department in Simla, 31 August 1910.

151. Burcu Kurt, Irak'ta "Muktedir" ve "Müşteki" Bir İttihatçı, s.169.

152. B.O.A., DH. Mtv, 14/1, 23 Ağustos 1326 (5 September 1910).

153. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt Ditto, Document No. 499, telegram from Sir Barclay to Sir Edward Grey, Tehran, 9 December 1910.

127. Ditto, a Letter from Consul Crow to Acting Vali of Bussorah, Bassorah, 27 Mai 1910.

128. Ditto, Document No. 32, a Letter from Consul Crow to Sir G. Lowther, Bussorah, 28 May 1910.

129. See: Ditto, Document No. 84, Decipher, Telegram from Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 21 May 1910.

130. Ditto, Document No. 32, a Letter from Consul Crow to Sir G. Lowther, Bussorah, 28 May 1910.

131. Ibid.

132. Ditto, Document No. 245, Confidential, Telegram from Mr. Marling to Sir Edward Grey, Tehran, 31 May 1910.

133. Ibid.

134. Ditto, Document No. 177, Confidential, Telegram from Sir Edward Grey to Mr. Marling (Tehran), Foreign Office, 2 June 1910.

135. Ditto, Document No. 25031, Enclosure 6 in No.1, Memorandum by Acting Consul Wilson, Mohammerah, 4 June 1910.

136. Ditto, Document No. 85, Telegram from Consul Crow to Sir G. Lowther, Basra, 2 June 1910.

137. Ditto, Translation of Letter from Sheikh of Mohammerah to the Vali of Bussorah, 26 Jemadi Evvel 1328 (4 June 1910).

2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 40/ 1607, Despatch from Consul- General Cox to Mr. Marling, Bushire, 16 Jun 1910.

154. Ditto, Document No. 25031, Confidential, from Consul- General Cox to Sir Edward Grey, 11 July 1910.

١٥٥. للتفاصيل حول ناظم باشا وأعماله في بغداد، أنظر: نضر علي أمين الشريف، إدارة الوالي ناظم باشا لولاية بغداد ١٩١٠-١٩١١، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٠، ٢٠٠٩، ص١٢٧-١٥٤؛ سعد عبد الواحد عبد الخضر، الوالي ناظم باشا أعماله وإصلاحاته في بغداد ١٩١٠-١٩١١، دراسات تربوية، العدد ٢٥، ٢٠١٤، ص ١٦٧-١٩٢.

156. Ibid.

157. عن علاقة سليمان نظيف بأمير الكويت، أنظر:

Ditto, No. C. 36, Confidential, a Letter from Captain W.H.I. Shakespear the Political Agent in Kuwait to the Political Resident in the "Persian" Gulf, Kuwait, 15 June 1910; Ditto, No. 1719, Confidential, a Letter from Lieutenant-Colonel P.Z. Cox the Political Resident in the "Persian" Gulf to J.B. Wood the Officiating Secretary to the Government of India in the Foreign Department, Bushire, 26 June 1910.

158. Ditto, Document No. 40/ 1607, Despatch from Consul- General Cox to Mr. Marling, Bushire, 16 Jun 1910.

159. Ibid.

160. Ibid.

161. Ditto, Confidential, a Letter from P.Z. Cox to E.H.S. Clarke and C.I.E. Esquire the Deputies Secretary of Foreign Department in Sima, Bushire, 14 July 1910.

162. Ditto, Document No. 346, Confidential, Telegram from Sir G. Barclay to Sir Edward Grey, Tehran, 1 September 1910.

163. Ditto, Document No. 279, Confidential, a Letter from Sir Edward Grey to Sir G. Lowther, Foreign Office, 17 September 1910.

164. Ditto, Document No. 116, Secret, a Letter from Government of India. Foreign Department to the Right Hon'ble Viscount Morley of Blackburn His Majesty's Secretary of State for India, Simla, 11 August 1910.

165. Ditto, Document No. 279, Confidential, a Letter from Sir Edward Grey to Sir G. Lowther, Foreign Office, 17 September 1910.

166. Ditto, Document No. 202, Confidential, Telegram from Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, 23 September 1910.

167. Ditto, Document No. 263, Confidential, a Letter from Sir Edward Grey to Sir G. Barclay in Tehran, Foreign Office, 12 September 1910.

١٦٨. كان هناك عدة أسباب وراء إبعاد سليمان نظيف عن البصرة، فعلاوة على التدخل البريطاني، كانت هناك العديد من المشاكل بينه ووالي بغداد ناظم باشا، الذي كان والي البصرة تابعاً له، كان معظمها حول تقسيم الصلاحيات، وأيضاً خلافه مع قائد البحرية العثمانية في الخليج، كما تزايدت المشاكل بين سليمان نظيف وعدد من الأسر العشائرية البارزة، تقدمتها عائلة السعدون،

ضمن جهود الأول في فرض السلطة المركزية.

B.O.A., DH. Mtv, 14/1, 4 Ağuştos 1326 (17 August 1910); Aynı dosya ve Gömlek 22 Ağuştos 1326 (4 September 1910); DH. Mtv, 124/60, 28 Ağuştos 1326 (10 September 1910); IOR/L/PS/10/188, File 3846/1910 'Mesopotamia: Baghdad affairs. Miscellaneous, Document No. 54, a Letter from Consul Crow to Sir G. Lowther, Bussorah, 16 September 1910.

169. B.O.A., DH. Mtv, 14/1, 7 Eylul 1326 (20 September 1910).

١٧٠ . أنظر مثلاً

B.O.A., DH. Mtv, 56/6, 12 Ağuştos 1326 (25 August 1910); Aynı dosya ve Gömlek, 14 Ağuştos 1326 (27 August 1910); Aynı dosya ve Gömlek, 17 Ağuştos 1326 (30 August 1910); Aynı dosya ve Gömlek, 22 Ağuştos 1326 (4 September 1910).

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد نقل نظيف من البصرة وجه الكثير من وجهاء وأهل البصرة برقيات كثيرة إلى الحكومة في إسطنبول طالبين إعادته والياً على البصرة، وهددوا بالتحرك للضغط على الحكومة بهدف إرجاعه. أنظر:

B.O.A., DH. Mtv, 124/ 60, 3 Eylul 1326 (16 September 1910); B.O.A., DH. Mtv, 56/6, 9 Eylul 1326 (22 September 1910); B.O.A., DH. Mtv, 14/1, 3 Eylul 1326 (16 September 1910).

171. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 370, Confidential, Telegram from G. Barclay to Sir Edward Grey, Tehran, 18 September 1910.

172. IOR/L/PS/10/188, File 3846/1910 'Mesopotamia: Baghdad affairs. Miscellaneous, Document No. 312, Confidential, a Letter from Sir Edward Grey to Sir G. Lowther, Foreign Office, 17 October 1910.

173. B.O.A., DH. Mtv, 14/1, 4 Eylul 1326 (17 September 1910).

174. B.O. A., DH. Mtv. 56/6, 25 Teşrinievvel 1326 (7 November 1910).

175. IOR/R/15/2/ 1747, File 29/6, Confidential, British Relations with Khazal, Sheikh of Khorramshahr, Confidential, Document No. 17132 [L 2592/ 2592/ 402/ 1946], Foreign Office, 26 November 1946, pp. 5-6.

176. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh,, Document No.251, Decypher of Telegram from Mr. Marling, Tehran, 11 June 1910; Ditto, Document No. 752, Telegram from the Political Resident in the Persian Gulf in Bushire to the Secretary to the Government of India in the Foreign Department in Simla, 25 July 1910; IOR/ L/ PS/ 20/70, A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan By Lieutenant A. T. Wilson Acting Consul for Arabistan, Calcutta, 1912, p.38.

177. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt

2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 41196, Enclosure 7, Consul General Cox to the Sheikh of Mohammerah, Mohammerah, 15 October 1910; A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan By Lieutenant A. T. Wilson Acting Consul for Arabistan, Calcutta, 1912, p.39.

178. IOR/L/PS/10/133, File 345/1908 Pt 2, Political and Secret Department, Mohammerah: Situation. Sheikh's Dispute with the Vali of Basra. Decoration for Sheikh. Renewed Assurances to Sheikh, Document No. 41196, Enclosure 2, Consul General Cox to Government of India, Bushire, 23 October 1910.

١٧٩. ويليـام ثيودور سترانك، حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان، ترجمة: عبد الجبار ناجي، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٢٨.

180. IOR/ L/ PS/ 20/70, A Précis of the Relations of the British Government with the Tribes and Shaikhs of Arabistan By Lieutenant A. T. Wilson Acting Consul for Arabistan, Calcutta, 1912, p.61.

خالـد السعـدون، العلاقـة بـين شيـخ المحمَّـرة والسلطـات العثمانيـة في ولايـة البـصرة ١٩٠٨-١٩١٤، "شـؤون اجتماعيـة"، مجلـد ١٨، عـدد ٧٢، الشارقـة، ٢٠٠١، ص٢٠.

181. See: IOR/L/PS/10/262/2, File 1247/1912 Pt 2, Anglo-Turkish Agreement. Acceptance by Sheikhs of Ko-

weit and Mohammerah, 19 October 1896-25 September 1913.

182. Burcu Kurt, Irak'ta "Muktedir" ve "Müşteki" Bir İttihatçı, S.163.

183. IOR/L/PS/18/B 380, 14638, Memorandum Respecting the Frontier between Mohammerah and Turkey, Translation of the New Treaty of Erzerom 1847 by Mr. Redhouse at Erzeroum.

The British Attitude on the Tension between the Ottoman Vali of Basra, Suleiman Nazif, and the Sheikh of Mohammerah, Khazal bin Jaber Documentary study

Asst. Prof. Dr. Nadia Yasien Abd

University of Baghdad / Collage of Arts

Abstract

Britain's interest in Mohammerah increased as part of the growing position of the Gulf in its politics during the nineteenth century, and its importance increased even more after Britain discovered oil in southern Iran in commercial quantities in 1908, and found in Khazal bin Jaber the ideal figure to protect its interests there. That were accompanied by the interest of the Ottomans in re-imposing their control over all the regions belonging to the Ottoman Empire, part of the policy adopted by the Unionists after the success of their revolution in 1908, including the borderlands that Sheikh Khazal controlled. Suleiman Nazif was the most prominent of the Ottoman Valis of Basra who dealt with this issue, which caused tension in the relations between the Ottoman Vali of Basra and the Sheikh of Mohammerah, and Britain worked to settle the dispute while preserving the interests of Sheikh Khazal.

Through the research, we tried to identify Sheikh Khazal's relationship with Britain, the beginning of the tension between Suleiman Nazif and Sheikh Khazal, what is the British position on that tension and how that contributed to settling the dispute, what are the means used to achieve that end, and what resulted from that tension regarding Britain and Mohammerah.

Keywords: Britain, Basra, Mohammerah, Sheikh Khazal, Suleiman Nazif.